تفسير سورة الأحزاب

(٧٣ آية)

د.سليمان معرفي سفر (*)

د أحمد سليمان الصقيعي(**)

تعريف التفسير [١]:

● **التفسير لغة [٢] :**

عند تتبع معاني هذه اللفظة نجد أنها تدور على الكشف والبيان ، وسواء كان ذلك في المعاني أم المحسوسات والأعيان . فيقال : فسَّر الكلام : أي أبان معناه وأظهره ، كما يقال : فَسَر عن ذراعه : أي كشف عنها .

فهو إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي [٣] .

قال ابن فارس : " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه . من ذلك الفَسْرُ ، يقال : فَسَرْت الشيء وفسَّرته [٤] " أ.هـ .

وقد اختلف في مادة اشتقاقه على أقوال :

الأول : أنه مأخوذ من " التَّفْسِرَة " وهو نظر الطبيب في بول المريض لمعرفة علته .

قالوا : فكذلك المفسر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها .

وممن اختار هذا القول الزركشي [٥] وصديق حسن خان [٦] رحمهما الله تعالى .

(*) أستاذ مساعد بقسم التفسير والحديث - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم التفسير والحديث - جامعة الكويت .

(**) أستاذ مشارك - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم التفسير والحديث - جامعة الكويت .

والحقيقة أن نظر الطبيب هـذا مأخوذ من الفَسْر كما في الصـحاح [٧] واللسان [٨] والقاموس [٩] .

قال ابن فارس : " وأما اشتقاقه فمن الفسر " ثم ساق بسنده إلى الخليـل قال : " الفسر : البيان ، واشتقاقه من فَسْر الطبيب للماء : إذا نظـر إليـه ، ويقال لذلك : التفسرة أيضًا [١٠] " أ.هـ .

وقال في معجم المقاييس : " والفسر والتفسرة : نظر الطبيب إلى المـاء وحكمه فيه [١١] " أ.هـ .

ونقل الأزهري عن الليث : " وكل شيء يُعرف به تَعَرُّفُ تفسير الشيء و معناه فهو تفسرته [١٢] " أ.هـ .

أما الجوهري فقد عدّ " التفسرة " من المُوَلَّد [١٣] .

الثاني : أنه تفعيل من الفسر ، الذي هو البيان والكشـف [١٤] وظـاهر صنيع ابن فـارس[١٥] والأزهـري[١٦] والجـوهري[١٧] وابـن منظـور[١٨] والفيروزآبادي[١٩]. والسيوطي [٢٠] يشعر باختيارهم هذا القول . وهو الراجح والله أعلم .

الثالث : أنه مأخوذ من قول العرب : فسرت الفرس ، فسَّـرته . أي : أجريته وأعديته إذا كان به حُصْر ليستطلق بطنه .

وكان المفسر – على هذا المعنى – يجري فرس فكـره فـي ميـادين المعاني ليستخرج شرح الآية ويَحُل عقْد إشكالها .

قال الألوسي : " ولعله يرجع لمعنى الكشـف ، كمـا لا يخفـى ، بـل كل تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلـك كمـا هـو ظـاهر لمـن أمعـن النظر " [٢١] أ.هـ .

ولا يخفى أن هذه المعاني الثلاثة متقاربة ، أما الأول والثـاني فظـاهر أنهما يرجعان إلى معنىً واحد .

وأما الثالث : فيقال : إنه آيل إلى معنى الظهور والانكشاف أيضًا .

قال أبو حيان : " التفسير في اللغة : الاستبانه .. والكشف . قال ابن دريد [٢٢] : " ومنه يقال للماء الذي ينظر فيه الطبيب تفسرة . وكأنه تسمية بالمصدر ؛ لأن مصدر فَعَّل جاء أيضًا على تفعِلة . نحو : جرَّب تجْرِبة ، وكرَّم تكرِمة ، وإن كان القياس في الصحيح من فعَّل التفعيل . كقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ .

ويطلق أيضًا التفسير على التعرية للانطلاق . قال ثعلب [٢٣] : تقول: فسرت الفرس : عريته لينطلق في حصره ، وهو راجع لمعنى الكشف ، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري " [٢٤] أ.هـ .

وقال الزركشي : فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه ، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به ، ويقال فسرت الشيء أفسره تفسيرًا ، وفسرته أفسره فسرًا ، والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال ، وبمصدر الثاني منهما سمَّى أبو الفتح بن جني كتبه الشارحة " الفسر " [٢٥] أ.هـ .

الرابع : أنه مأخوذ من مقلوب لفظه . تقول العرب : سفرت المرأة إذا كشفت قناعها عن وجهها . وسفرت البيت إذا كنسته ، ومنه قيل للسفر سفر لأنه يسفر عن أخلاق الرجال .

وعليه فيكون اشتقاقه من " التفسير " على قياس جذب وجبذ . وصعق وصقع [٢٦] .

وهذا القول فيه ضعف لا يخفى . قال الألوسي : " والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه [٢٧] " أ.هـ .

وذهب الراغب إلى أن الفسر يستعمل لإظهار المعنى المعقول ، والسفر لإبراز الأعيان للأبصار [٢٨] .

وهذا التفريق فيه نظر ، إلا إن قُصد به غلبة الاستعمال ، أما من حيث المعنى اللغوي فلا فرق ، فأنت تقول : أسفر عما في نفسه . وهذا راجع إلى المعنى الأول والله أعلم .

الخامس : أنه مأخوذ من فسرت النورة ، إذا نضحت عليها الماء لتنحل أواخرها وينفصل بعضها من بعض ، وكأن التفسير يفصل أجزاء معنى المفسر بعضها من بعض حتى يتأتى فهمه والانتفاع به . كما أن النورة لا يتهيأ الانتفاع بها إلا بتفصيل أجزائها بتفسيرها .

وقد ذهب إلى هذا القول الطوفي [٢٩] . وهو أضعفها .

- **التفسير اصطلاحًا** [٣٠] :

الكلام المدون في كتب أهل العلم في معنى التفسير اصطلاحًا كثير جدًّا، والأقوال فيه متنوعة ، وقد وقفت له في كلامهم على ثلاثة عشر تعريفًا ، منها القريب المحتمل ومنها البعيد المردود .

وبعد التأمل اخترت ما أظنه أجودها وهو : علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

* * *

تفسير سورة الأحزاب

(٧٣ آية)

◆ **سورة مدنية ، تناولت أمورًا كثيرة :**

- أمور الأسرة .
- أبطلت بعض العادات والتقاليد الموروثة المتفشية في المجتمع الجاهلي مثل : التبني ، والظهار .
- تعرضت لغزوة الخندق سنة ٥ هـ .
- موقف المنافقين .
- غزوة بني قريظة .
- بعض الآداب الاجتماعية ، مثل : الوليمة ، والستر ، والحجاب ، والتبرج ، واحترام الرسول ﷺ .
- سميت بالأحزاب نسبة إلى تحزب المشركين على المؤمنين في الخندق .

أخرج أحمد من طريق ذر قال : قال لي أُبي بن كعب : كأين تقرأ سورة الأحزاب ؟ أو كأين تعدها ؟ قال : قلت : ثلاثًا وسبعين آية ، فقال : قط ، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، نكالًا من الله ، والله عزيز حكيم " (٣١) .

كل ما ورد في فضلها من آثار لا يصح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا ۞ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۞ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (٣٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ : يا : حرف نداء للبعيد ، وقد ينادى بها القريب توكيدًا ولا يقدر عند الحذف سواها، مثل : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ (٣٣) ولا ينادى اسم الله إلا بها ، وأيها وأيتها لا ينادى إلا بها .

وحروف النداء خمسة : يا ، وأيا ، وهيا ، وأي ، والهمزة .

أي : متضمنة معنى النداء ، والهاء للتنبيه على أنه المقصودُ بالنداء .

﴿ اتَّقِ اللَّهَ ﴾: تنبيه بالأعلى على الأدنى . فإذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا ، فغيره أولى بذلك وأحرى .

والتقوى : عرفها طلق بن حبيب بقوله : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله (٣٤) .

وأصل التقوى : الحفظ والصيانة ، وأن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية .

﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ : أي : لا تسمع منهم ولا تستشرهم . وما ورد فيها من سبب نزول لا يصح .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ : هذه الجملة تعليل لجملة الأمر بالتقوى والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين .

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ : من القرآن والسنة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ : تعليل للأمر باتباع الوحي . فلا تخفى عليه خافية .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ : في جميع أمورك ، فوض أمرك إليه واعتمد عليه .

﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ : أي حافظًا يحفظ من توكل عليه .

التوكل لا ينافي الأسباب بل لا يصلح التوكل إلا بها ، وإلا كان بطالة .

أمثلة : الدعاء جعله الله سببًا في حصول المدعو به ، فمن اعتقد أن الدعاء ليس سببًا لنيل شيء لأن ما قدره الله كائن لا محالة ، وما لم يقدره ليس بكائن . فهذا جهل عظيم ومراغمة لحكمة الله تعالى ، جاهل بسنته قال ﷺ : " لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر " (٣٥) .

ويستدل هؤلاء الجهلة برواية باطلة مفادها أن إبراهيم – عليه السلام – عندما ألقي في النار وجاءه جبريل يسأله عما يريد ، قال : " علمه بحالي يغنيه عن سؤالي " فهذه رواية باطلة ، وتنافي التوكل .

فالله تعالى قد قضى بحصول الشيء عند حصول سببه ، فإذا لم يأت بالسبب امتنع المسبّب .

ومن أمثلة ذلك :

- أنه سبحانه قضى بحصول الولد إذا تزوج ، فإن لم يتزوج لم يحصل الولد .
- وقضى بحصول الشبع والري إذا أكل وشرب .
- وقضى بدخول الجنة إذا أسلم .

ومن تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع تعلق القلب بها ، بل يبذل الأسباب ويتعلق قلبه بواضع الأسباب ومسبباتها .

قال ﷺ : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا " (٣٦) .

﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ : هذا مثل ضربه الله تعالى لإبطال الظهار والتبني . فكما لا يكون للرجل قلبان في جوفه ، كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمًّا له ، حتى يكون له أمان ، وكذلك لا يكون الدعي ابنًا لرجلين .

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ : ﴿ تُظَاهِرُونَ﴾ : أصلها تتظاهرون ، والظهار مشتق من الظهر . وأصله أن يقول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي .

والمعنى : ما جعل الله نساءكم اللاتي تقولون لهن هذا القول كأمهاتكم في التحريم ، ولكنه منكر من القول وزور .

كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي وَلَدْنَهُمْ ... ﴾ (٣٧) .

سبب نزولها : أوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة .

عن عائشة قال : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول : يا رسول الله ، أكل شبابي ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني ! اللهم إني أشكو إليك ، قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ (٣٨) وهو أوس بن الصامت .

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ : الأدعياء : جمع دعي . وهو الذي يدعى ابنًا لغير أبيه .

سبب نزولها :

نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ ، كان ﷺ قد تبناه قبل النبوة ، فكان يُدعى زيد بن محمد ، فأراد الله تعالى أن يُبطل هذه النسبة .

أخرج البخاري عن ابن عمر قال : إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٣٩) .

وتأكيدًا لهذا الإبطال فقد زوج الله تعالى نبيه ﷺ امرأة متبناه زيد بن حارثة زينب بنت جحش عندما طلقها كما سيأتي لا حقًا من هذه السورة ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ (٤٠) .

وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ ﴾(٤١) احترازًا وهو قيد عن زوجة الدعي فإنه ليس من الصلب ، فأما الابن من الرضاعة فهو بمنزلة ابن الصلب شرعًا لقوله ﷺ : " يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب " (٤٢) .

﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ : يعني تبنيكم لهم مجرد قول وليس حقيقة فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، ولا تصير المرأة بالظهار أُمًّا ، ولا يترتب على ذلك شيء .

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ : إشارة إلى ما تقدم من ذكر الظهار والادعاء ، وقيل راجعة إلى الادعاء . وهو مبتدأ ، وخبره : ﴿ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ .

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾ : يعني العدل .

﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ : يعني : الصراط المستقيم .

﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ﴾ : للصُّلب وانسبوهم إليهم لا إلى غيرهم .

﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ : يعني : أعدل . وهو تعليل للأمر بدعاء الأبناء للآباء . والضمير ﴿ هُوَ ﴾ عائد إلى ﴿ ادْعُوهُمْ ﴾ .

﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ : عِوضًا عما فاتهم من النسب . قال ﷺ لزيد بن حارثة : " أنت أخونا ومولانا " . وقال ﷺ: " ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر " .

روى ذلك من فوق المنبر علي ﷺ من صحيفة كانت عنده ، عن رسول الله ﷺ وفيها يقول : " من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا " (أي توبة ولا فدية) [٤٣] . متفق عليه . بالشطر الأول منه بلفظ: " فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة " . وإسناده صحيح .

وعن سعد بن أبي وقاص عنه ﷺ أنه قال : " من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام " [٤٤] .

وفيه خطورة الزنا وأنه أعظم ذنب بعد قتل النفس ، وفيه تختلط الأنساب .

وهذا تشديد وتهديد أكيد في التبري من النسب المعلوم .

أخرج أحمد عن عمر ﷺ فيما نسخ تلاوة وبقي حكمًا ، قال : كنا نقرأ ﴿ ولا ترغبوا عن آبايكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبايكم ﴾ .

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ : يعني : من غير عمد . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [٤٥] وثبت في مسلم أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : (قد فعلت) . وفي الحديث : " إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيانَ ، وما استكرهوا عليه " [٤٦] .

﴿ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ : أي : وإنما الإثم على تعمد الباطل .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : يغفر للمخطئ ويرحمه .

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ : أي : أحق بهم في أمور الدين والدنيا وفي الصحيح : " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين " (٤٧) .

وفي الصحيح أيضًا قال عمر : والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال ﷺ : " لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال : يا رسول الله ، والله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي ، فقال ﷺ : " الآن يا عمر " .

﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ : أي : في الحرمة والاحترام ، والتوقير والإكرام والإعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع .

فحرمة نساء النبي ﷺ كحرمة الأم .

وهل يفهم من هذا أن النبي ﷺ أب لهم ؟

نعم ، ولكن الأبوة الدينية ، وليست أبوة نسب كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ (٤٨) . أما أبوة الدين ، لأنه ﷺ أرأف بأمته من الوالد الشفيق بأولاده ، كما قال تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤٩) . وقال ﷺ : " إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أُعلمكم ... " (٥٠) .

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ : أي : القرابات بالتوارث من المهاجرين والأنصار ، وهذه ناسخة لما قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة.

قال ابن عباس وغيره : " كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخي بينهم رسول الله ﷺ " (٥١) .

﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ : يعني : في حكم الله .

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ : يعني : أولي الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ، ومن المهاجرين بحق الهجرة .

﴿ إِلا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ : استثناء منقطع ، فالميراث للأرحام فقط ، ولكن الأولياء من المؤمنين والمهاجرين فلهم الوصية .

قال ابن كثير : " أي ذهب الميراث وبقي البر والنصر والوصية والصلة والإحسان " .

﴿ كَانَ ذَٰلِكَ﴾ : إشارة إلى ما سبق من حكم الميراث للأرحام .

﴿ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ : أي : الكتاب الأول : وهو اللوح المحفوظ ، مثبتًا مكتوبًا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ (٥٢) .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى

ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ : اذكر وقت ﴿ إِذْ ﴾ ، متعلق بمحذوف ، تقديره اذكر وقت .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ : الميثاق : العهد . وهذا العهد مفصل في سورة آل عمران : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٣) .

وأما الميثاق الذي أخذه على خصوص الخمسة أولي العزم ، فقد بينه في سورة الشورى بقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٥٤) .

فالله تعالى قد بين أنه أخذ ميثاق النبيين ، ثم خص منهم خمسة (محمدًا ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى) . وهذا الميثاق هو : إقامة الدين وإبلاغ الرسالة والتعاون والتناصر والاتفاق .

وذكر الخمسة بعد ذكر الجميع يُسمى : ذكر الخاص بعد العام وفائدته مزيد اهتمام وبيان فضلهم ، وهم أُولوا العزم من الرسل .

وتقديم ذكر نبينا محمد ﷺ على الخمسة مع أنه آخرهم لمزيد تشريف وتعظيم ، وقدم ذكر نوح في آية الشورى لأنه ... ؟ .

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ : عهدًا عظيم الشأن قويًا . وإعادته هنا فيه تفخيم بشأن الميثاق . ومثاله من القرآن قوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٥٥) .

وقيل : أخذ منهم ميثاقين ، الأول ، والثاني مؤكد باليمين .

﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ : اللام : كي .

- ليسأل النبيين عن كلامهم الذي قالوه .

- أو ليسأل الأنبياء عما أجابهم به أقوامهم . كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٥٦) .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ (٥٧) .

وفي هذا تبكيت للكفرة .

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ : إخبار من الله تعالى عن نعمته وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صرفه أعدائهم وهزمه إياهم في غزوة الخندق سنة ٥ هـ ، وهي غزوة الأحزاب .

وكان سبب قدوم الأحزاب ، أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم النبي ﷺ إلى خيبر ، منهم سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش وألبوهم على حرب المسلمين ووعدوهم النصر والإعانة ، ثم خرجوا إلى غطفان فأجابوهم لذلك، وخرجت قريش ومن تابعهم بقيادة أبي سفيان وغطفان بقيادة عيينة بن حصن بن بدر والجميع قرابة عشرة آلاف مقاتل .

لما سمع النبي ﷺ بمسيرهم أمر بحفر الخندق بإشارة سلمان ﷺ فاجتهد المسلمون في العمل ومعهم نبيهم ﷺ ينقل التراب .

نزل المشركون شرقي المدينة قريبًا من أحد ، وطائفة في أعالي المدينة.

كانت قريظة لهم حصن شرقي المدينة ، ولهم عهد مع النبي ﷺ ذهب إليهم حيي بن أخطب النضري ، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ووقفوا مع الأحزاب ، فاشتد الخطب وضاق الحال بالمسلمين . استمر الحصار بالمسلمين شهرًا .

ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار ، حتى ارتحلوا خائبين خاسرين ، كما قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا ﴾ . قال مجاهد : وهي الصبا ، ويؤيده الحديث الآخر : " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور " (٥٨) .

﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ : تقدم أن الريح هي الصبا . والجنود هم الملائكة كما تقدم .

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ : أي الأحزاب من غطفان ومن تابعهم من أهل نجد .

﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ : أي : قريش ومن شايعهم ، وقيل العكس .

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ : أي : من شدة الخوف .

﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ : الظنون المختلفة ، فيظن المخلصون الظن الحسن بربهم ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (٥٩) ويظن المنافقون ظن السوء ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ ... ﴾ (٦٠) .

وجملة ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ : معطوفة على ﴿ زَاغَتِ) .

﴿ هُنَالِكَ ﴾ : ظرف مكان ، يقال للمكان البعيد .

وقد يكون ظرف زمان ، أي : عند ذلك الوقت ابتلى المؤمنين .

﴿ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ : أي : اختبرهم الله تعالى فظهر إخلاصهم . وابتلاؤهم كان بالجوع والخوف والبرد الشديد والحصار .

﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾ : حُرّكوا بالخوف تحريكًا شديدًا .

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ : عطف على ﴿ وَإِذْ زَاغَت ﴾ .

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ :

- قيل : بأنهم قوم ضعاف الاعتقاد .

- وقيل :هم المنافقون أنفسهم والعطف لتغاير الوصف، وهو الصحيح .

وقولـــه : ﴿ وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ : هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف ، فكان رئيس كل قبيلة يقـــول : يـــا بنـــي فـــلان إلـــي ، فيجتمعون إليه ، فيقول : النجاء النجاء لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب . وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمـــد بـــن كعـــب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ﷺ : يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال : وكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، قال الفتى : والله لـــو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . قال : قال حذيفة ﷺ : يا ابـــن أخي ، والله لو رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هُويًا من الليل ، ثم التفت فقال : " من رجل يقوم فينظر لنا ما فعـــل القـــوم ؟ – يشترط لـــه النبي ﷺ أن يرجع – أدخله الله الجنة " قال : فما قام رجل ثـــم صلى رسول الله هويًا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هويًا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : " من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ ، يشترط لـــه النبي ﷺ الرجعة – أسأل الله تعـــالى أن يكون رفيقي في الجنة " فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حـــين دعاني ، فقال ﷺ : " يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا " .

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما

تفعل ، لا تقـر لهم قرارًا ولا نارًا ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر كل امرئ مَنْ جليسه . قال حذيفة ﷺ : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ أن لا تحدث شيئًا حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة ﷺ : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط [٦١] لبعض نسائه مرحل [٦٢] فلما رآني أدخلني بين رجليه ، وطرح عليّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد ، وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم [٦٣] .

﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ : من النصر والظفر وإعلاء الدين وفتح فارس والروم .

﴿ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ : باطلًا من القول .

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ : من المنافقين .

﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ :اسم المدينة .

﴿ لا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ : لا مكان لكم هنا في العسكر .

﴿ فَارْجِعُوا ﴾ : إلى منازلكم .

﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾ : خوفًا وهربًا في وقت الشدة .

﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ :مكشوفة نخاف عليها من السراق ، والعورة سوءة الإنسان وكل ما يستحيا منه [٦٤] .

﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ : أي : ليست كما يزعمون . جملة اعتراضية لبيان كذبهم فيما ادعوا .

﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ : هربًا من الزحف .

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا ﴾ : أي : لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ونواحيها .

﴿ ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ ﴾ : أي الشرك بالله تعالى والرجعة إلى الكفر الذي يبطنونه ويظهرون خلافه . ﴿ لَآتَوْهَا ﴾ : أي لأعطوها من أنفسهم .

﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا ﴾ : أي بالمدينة ، بعد أن أتوا الفتنة .

- قيل : إلا تلبثًا يسيرًا حتى يهلكوا .

- وقيل : وما تلبثوا عن فتنة الشرك والرجوع إلى الكفر إلا قليلًا .

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ ﴾ : يذكرهم الله تعالى بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولون الأدبار ولا يفرون من الزحف .

﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا ﴾ : أي : مسؤولًا عنه ، وأن الله سائلهم عنه لابد من ذلك ومجازيهم على تركه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلًا ۞ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ

لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا ۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۞ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) .

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ : فإن من حضر أجله مات أو قتل ، والفرار لا يؤخر الأجل ولا يطيل العمر .

﴿ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلا ﴾ : أي : بعد هربكم وفراركم ، زمانًا قليلًا ثم تنتهي آجالكم . ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (٦٦) .

﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ : أي : من يمنعكم من الله . ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ (٦٧) . جاء الفعل (يعصمكم) في سياق الاستفهام يفيد العموم ، ومعناه نفي وجود أي نوع من المنعة والعصمة (٦٨) .

والعصمة المنع والحفظ ، واعتصم بالله أي امتنع (٦٩) .

حديث : " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ... " (٧٠) .

﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ : مجيرًا ولا مغيثًا .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ

﴿ إِلا قَلِيلا ﴾ : قد حرف تحقيق ، يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب ، ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ : يعني : أصحابهم وخلطاءهم . ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ : إلى ما نحن فيه من الإقامة والأمن .

والإعاقة : الصرف عن الوجهة التي يريدها . وعاقه عن كذا : حبسه عنه وصرفه وثبَّطه [٧١] .

و ﴿ هَلُمَّ ﴾ : أقبل واحضر للواحد والجماعة عند أهل الحجاز . والعرب تقول : هلم للواحد ، وهلما للاثنين ، وهلموا للجماعة .

﴿ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ : المشاركين لهم في النفاق . وهم مع ذلك ﴿ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا ﴾ : أي : الحرب ﴿ إِلا قَلِيلا ﴾ خوف الموت . وقيل : لا يحضرون إلا رياء وسمعة ، أو حمية .

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ : أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم ، وبالنفقة في سبيل الله . منصوب على الحال . والشُّحُّ: البخل مع حرص [٧٢] .

﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ : يميناً وشمالاً وهذا سبيل الجبان إذا شاهد ما يخافه .

﴿ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ : أي : يشبه من نزل به الموت ، وغشيته أسبابه .

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ : السلق : شدة القول باللسان [٧٣] ، وسلقه بالسوط نزع جلده ، وسلق الشيء بالماء الحار [٧٤] ، والمعنى : إذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة .

﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ : قليلو الخير .

﴿ أُوْلَئِكَ ﴾ : الموصوفون بتلك الصفات .

﴿ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ : بل هم المنافقون .

﴿ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ : أي : أبطلها ، وأهلكها . والحبط وجع يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستوبله يعني : يضره .

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ : أي : سهلًا هينًا .

﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ : هؤلاء المنافقون من جبنهم يحسبون الأحزاب لم يذهبوا بعد إلى ديارهم وأن لهم عودة .

﴿ وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ﴾ : أي : يودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون في المدينة ، بل في البادية يسألون عن أخباركم وما جرى لكم ، والأعراب : البدو وسكان البادية .

﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا ﴾ : لجبنهم أو خوفًا من العار وحمية على الديار .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ : أي : قدوة صالحة في صبره ، ومرابطته ، وجهاده ، وانتظار الفرج من ربه .

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالآية نزلت على سبب خاص، لكنها عامة في كل شيء ، فالرسول ﷺ الأسوة في كل شيء فهو المثل الأعلى .

﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ : يرجو ثواب الله ، ويرجو رحمته يوم القيامة .

﴿ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ : جمع بين الرجاء والذكر . وفيه حث على كثرة الذكر وعظيم فضله .

ثم بين الله تعالى ما وقع من المؤمنين المخلصين عندما رأوا الأحـــزاب فقـــال : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ : ﴿ هَذَا ﴾ : ما رأوه من الجيوش . ﴿ مَا ﴾ : موصولة ﴿ وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ : من الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر القريب .

﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ : في ذلك الوعد .

﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ : ﴿ إِيمَانًا ﴾ : بالله تعـــالى . و﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾ : أي : انقيادًا لأوامره وطاعة لرسوله ﷺ . وفيه دليل على أن الإيمـــان لـــه حقيقة ويزيد وينقص .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا ۞ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۞ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٧٥) .

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ : من الثبات مع النبي ﷺ والمقاتلة معه .

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ : يعني : أجله . وقال البخاري : عهده . والنَّحْبُ : الموت [٧٦] .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ : أي : وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه .

أخرج البخاري عن أنس قال : نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ .

أخرج أحمد عن أنس قال : عمي أنس بن النضر ﷺ سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق عليه ، وقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، لئن أراني الله تعالى مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ لَيَرَيَنَّ الله عز وجل ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ ﷺ ، فقال له أنس ﷺ يا أبا عمرو أين ؟ واهًا لريح الجنة إني أجده دون أحد قال : فقاتلهم حتى قتل ﷺ ، قال : فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية ، فقالت أخته عمتي الرُّبيِّع ابنة النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه ، قال : فنزلت هذه الآية ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه ، وفي أصحابه ﷺ [٧٧] .

قال ﷺ : " من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة " [٧٨] . يعني أنه مات أو قتل وهو على عهده مع ربه من الصدق في المواطن .

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ : واللام متعلق بـ ﴿ صَدَقُوا ﴾ .

﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ : يختبر الله تعالى عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب . فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر

هذا بالفعل مع أنه يعلم الشيء قبل كونه ، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا به .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : أي : لمن تاب من المنافقين وأقلع عن نفاقه وأن رحمته تعالى بخلقه هي الغالبة والسابقة .

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ : رجع الله إلى حكاية بقية القصة وما امتنّ به على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين من النعمة .

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : وهم الأحزاب .

﴿ بِغَيْظِهِمْ ﴾ : في محل نصب على الحال . والباء للمصاحبة . أي : حال كونهم متلبسين بغيظهم ومصاحبين له .

﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ : في محل نصب على الحال . و ﴿ خَيْرًا ﴾ : يعني : أيَّ خير . نكرة في سياق النفي فتعم ، بل رجعوا ولم يربحوا إلا عناء السفر وغرم النفقة .

﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ : أي : لم يحتاجوا إلى منازلتهم .

كان ﷺ يقول : " لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده " [٧٩] من حديث أبي هريرة .

وقال : " اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم " [٨٠] . من حديث عبد الله بن أبي أوفى . وقال : " لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم " [٨١] . وقال : " الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم " [٨٢] .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ : أي : بحوله وقوته ردهم خائبين ، إذا أراد

شيئًا قال له كن فيكون ، غالب قاهر لا يغالبه أحد من خلقه . وختم الآية بهاتين الصفتين حتى لا يتوهم بعض الضعفاء ويعتقد أن الريح هي سبب رجوعهم ، بل هي من إرساله سبحانه ، وأنه ينوع النصر للمؤمنين ، فمرة بالقتال ، ومرة بالريح ، ومرة بالرعب ، وفيه ختم الآية بالصفات المناسبة لمضمونها [٨٣].

﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ [٨٤] وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ :

قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة ، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد ، وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضري لعنه الله ، دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد ، وقال له فيما قال : ويحك قد جئتك بعز الدهر ، أتيتك بقريش وأحابيشها ، وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمدًا وأصحابه ، فقال له كعب : بل والله أتيتني بذل الدهر ، ويحك يا حيي إنك مشئوم ، فدعنا منك ، فلم يزل يفتل في الذروة والغارب [٨٥] حتى أجابه ، واشترط له حيي إن ذهب الأحزاب ولم يكن من أمرهم شيء أن يدخل معهم في الحصن ، فيكون له أسوتهم [٨٦] ، فلما نقضت قريظة ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدًّا ، فلما أيده الله تعالى و نصره وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيدًا منصورًا ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة رضي الله عنها ، إذ تبدى له جبريل عليه السلام معتجرًا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها

قطيفـــة من ديباج [٨٧] ، فقال أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال ﷺ : " نعم " . قال : لكن الملائكة لم تضع أسلحتها ، وهذا الآن رجوعي مـــن طلـــب القوم ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنـــي قريظـــة ، وفي رواية فقال لـــه : عَذِيرَكَ [٨٨] من مقاتل أوضعتم السلاح ؟ قال : " نعم " قال : لكنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى هؤلاء ، قال ﷺ : " أيـــن ؟ " قال : بني قريظة ، فإن الله تعالى أمرني أن أزلزل عليهم ، فنهض رســـول الله ﷺ من فوره ، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة ، وكانت على أميـــال من المدينة ، وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال ﷺ : " لا يصـــلين أحـــد مـــنكم العصر إلا في بني قريظة ، فسار الناس فأدركتهم الصـــلاة فـــي الطريـــق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا : لم يرد منـــا رســـول الله ﷺ إلا تعجيـــل المسير ، وقال آخرون : لا نصليها إلا في بني قريظة ، فلم يعنف واحدًا من الفريقين ، وتبعهم رسول الله ﷺ ، وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتـــوم ﷺ ، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب ﷺ ، ثـــم نـــازلهم رســـول الله ﷺ وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال ، نزلوا على حكـــم سعد بن معاذ سيد الأوس ﷺ لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، واعتقدوا أنه يحسب إليهم في ذلك ، كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول في مواليـــه بنـــي قينقاع حين استطلقهم من رسول الله ﷺ فظن هؤلاء أن سعدًا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ، ولم يعلموا أن سعدًا ﷺ كان قد أصابه ســـهم فـــي أَكْحَله [٨٩] أيام الخندق ، فكواه رسول الله ﷺ في أَكْحَله وأنزلـــه في قبة فـــي المسجد ليعوده من قريب ، وقال سعد ﷺ فيما دعا به : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها . وإن كنت وضعت الحرب بيننـــا وبيـــنهم

فافجرها ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، وقدّر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلبًا من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله ﷺ من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه ، جعل الأوس يلوذون به ويقولون : يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم ، ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم ، فلما أكثروا عليه قال ﷺ : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستبقيهم ، فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله ﷺقال رسول الله ﷺ : " قوموا إلى سيدكم " فقام إليه المسلمون ، فأنزلوه إعظامًا وإكرامًا واحترامًا له في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم ، فلما جلس قال له رسول الله ﷺ : " إن هؤلاء – وأشار إليهم – قد نزلوا على حكمك . فاحكم فيهم بما شئت " فقال ﷺ : وحكمي نافذ عليهم ؟ قال ﷺ : " نعم " قال : وعلى من في هذه الخيمة ؟ قال : " نعم " . قال : وعلى من ههنا وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله ﷺ ، وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالًا وإكرامًا وإعظامًا ، فقال له رسول الله ﷺ : " نعم " . فقال ﷺ : إني أحكم أن تُقتل مقاتلتُهم وتُسبى ذريتُهم وأموالُهم ، فقال رسول الله ﷺ : " لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة " ، وفي رواية : " لقد حكمت بحكم الملك " . ثم أمر رسول الله ﷺ بالأخاديد فخدت بالأرض ، وجيء بهم مكتفين ، فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة ، وسبي من لم يُنبت منهم مع النساء وأموالهم ، وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطُه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزًا وبسيطًا ولله الحمد والمنة (٩٠) .

ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم ﴾ : أي : عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ .

﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : يعني : بني قريظة من اليهود من بعض أسباط بني إسرائيل ، كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديمًا طمعًا في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ . فعليهم لعنة الله .

وقوله تعالى : ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ : يعني : حصونهم ، كذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم من السلف ، ومنه سمي صياصي البقر ، وهي قرونها لأنها أعلى شيء فيها . وقد سبق شرحه .

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ : وهو الخوف ، لأنهم كانوا مالؤا المشركين على حرب النبي ﷺ ، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوهم في الدنيا ، فانعكس عليهم الحال ، وانقلب إليهم القال ، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون [٩١] ، فكما راموا العز ذلوا ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستئصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ : فالذين قتلوا هم المقاتلة والأسراء هم الأصغر والنساء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم بن بشير ، أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال : عرضت على النبي ﷺ يوم قريظة ، فشكوا فيّ ، فأمر بي النبي ﷺ أن ينظروا هل أنبت بعد ، فنظروني فلم يجدوني أنبت ، فخلى عني وألحقني بالسبي ، وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به . وقال الترمذي : حسن صحيح ، ورواه

النسائي أيضًا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد عن عطية بنحوه .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ :أي : جعلها لكم من قتلكم لهم .

﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ : قيل : خيبر ، وقيل مكة ، رواه مالك عن زيد ابن أسلم وقيل فارس والروم ، وقال ابن جريج : يجوز أن يكون الجميع مرادًا ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ . والعطف هنا في الآية من باب عطف بعض الشيء عليه ، وهذا على بعض وجوه التفسير [٩٢] ، فهناك من قال بأن قوله : ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ هي أرض قريظة نفسها .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ : هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها ، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل ، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة ، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة .

قال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه ، قالت فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال : " إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك " ، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه ، قالت :

ثم قال : " إن الله تعالى قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ ، إلى تمام الآيتين ، فقلت له : ففي أي هذا استأمر أبوي ؟ ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، وكذا رواه معلقًا عن الليث : حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره ، وزاد قالت : ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت [٩٣] .

﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا ﴾ : أي : أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحكن . ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... ﴾ [٩٤] .

وكان ﷺ تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن . وصفية بنت حيي النضرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن .

ولا يُعد التخيير طلاقًا ؛ لقول عائشة في الصحيحين : خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يَعدّه طلاقًا [٩٥] . وهذا مذهب جمهور العلماء وهو الصحيح لقوة الدليل .

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ : هذا شرط ، والشرط لا يقتضي الوقوع ، كقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ... ﴾ [٩٦] . وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [٩٧] .

لما كانت مكانتهن رفيعة ، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظًا صيانة لجنابهن . والسيئات لا تضاعف ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا ﴾ [٩٨] .

ولكن السيئة قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب من الأسباب :

- كحرمـــة المكـــان:﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٩٩] .

- أو الزمـــان : ﴿ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [١٠٠] .

- أو عظـــم الإنســـان:﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾[١٠١] .

و﴿ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [١٠٢] .

فالسيئة لا يجزى إلا مثلها ، ولكن يُخص منها تلـك الحـالات فهاتـان الآيتان مخصصتان لعموم الآيات المصرحة بأن السيئة لا يُجزى إلا مثلها ، والله تعالى أعلم [١٠٣] .

﴿ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ : في الدنيا والآخرة .

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ على الله يَسِيرًا ﴾ : سهلاً هينًا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۞ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۞ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [١٠٤].

﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ : القنوت : الطاعة . و﴿ مَرَّتَيْنِ ﴾ : يعني ضعف الأجر .

﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ : أي : في الجنة فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين ، في الوسيلة : وهي أقرب منازل الجنة إلى العرش .

قوله : ﴿ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ ﴾ . لماذا بصيغة التذكير وليس بصيغة التأنيث . ﴿ يَأْتِ ﴾ و ﴿ يَقْنُتْ ﴾ ؟

الجواب : الفاعل ضمير مستتر يعود لموصول مشترك هو ﴿ مَن ﴾ وهذا الموصول صالح للتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ، فغُلِّب جانب التذكير فجاء الفعل بالياء ، وتصح القراءتان [١٠٥] .

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ : جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه ، أي : إن اتقيتن فلستن كأحد من النساء . فإذا اتقيتن الله عز وجل فإنه لا يشبههن أحدٌ من النساء ولا يلحقهن في الفضلية والمنزلة والشرف أحد .

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ : وهو : ترقيقُ الكلام وتليينُه .

﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ : أي : فجور وشك وفساد .

﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ : حسنًا بعيدًا عن الريبة فلا يطمع فيهن أهل الفساد والفجور .

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ : من القرار والسكون . فهذا أمر لهن بالقرار في البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة .

عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ : " إن المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان ، وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها " [١٠٦]. استشرفها : طلب الاطلاع عليها .

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ : قال مجاهد : كانت المرأة تخرج

تمشي بين يدي الرجال . وقال قتادة : يعني إذا خرجتن فلا تتبرجن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج . وقال مقاتل : تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج .

والتبرج : إظهار المرأة محاسنها وزينتها للرجال [١٠٧] .

﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ : نهاهن أولًا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

﴿ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ : عطف العام على الخاص ، لمزيد تأكيد الأمر بطاعة الله تعالى ، وخص الصلاة والزكاة لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ : نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل قولًا واحدًا ؛ ولأن قرينة السياق صريحة في دخولهن لأن الله تعالى قال : ﴿ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ﴾ ، ثم قال في نفس خطابه لهن : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ ﴾ ثم قال بعد : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ .

- ومن الأدلة على دخول الزوجات في اسم أهل البيت قوله تعالى في زوجة إبراهيم : ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [١٠٨] .

وفي البخاري أنه دخل على عائشة فقال : " السلام عليكم أهل البيت " [١٠٩] . ولا يمنع هذا من دخول غيرهن في الآية ، لورود أحاديث في دخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم .

تنبيه :

قوله تعالى : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ : ضمير الذكور ، فلو كان المراد نساء النبي ﷺ لقيل : عنكن ويطهركن .

والجواب :

- الآية شاملة للذكور والإناث ، وقد أجمع أهل اللغة على تغليب الذكور على الإناث في المجموع .

- من أساليب اللغة التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل ، وهو لفظ مذكر ، وبهذا الاعتبار تخاطب مخاطبة الجمع المذكر ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ [١١٠] . وقوله : ﴿ سَآتِيكُمْ ﴾ [١١١] .

وقوله : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُم ﴾ [١١٢] . فمن قال : بأن نساء النبي ﷺ لسن داخلات في الآية يرد عليه صريح القرآن ، ومن قال : إن فاطمة وعليًا والحسن والحسين ليسوا داخلين فيها ، ترد عليه الأحاديث .

تعريف آل البيت :

أخرج مسلم عن عائشة : خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [١١٣] .

قال ابن القيم في جلاء الأفهام [١١٤] : اختلف في ذلك إلى أربعة أقوال :

القول الأول : هم الذين حرمت عليهم الصدقة ، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء :

أ – أحدها : أنهم بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه .

ب – والثاني : أنهم بنو هاشم ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، ورواية عن أحمد واختيار ابن القاسم صاحب مالك .

ج – والثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب . فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو نوفل ، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك .

وهذا القول في الآل أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين .

والقول الثاني : أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة حكاه ابن عبد البر في التمهيد ، قال في باب عبد الله بن أبي بكر في شرح حديث أبي حميد الساعدي : استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم أزواجه وذريته خاصة لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر ، وفي غير ما حديث : " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد " [١١٥] . وفي هذا الحديث يعني حديث أبي حميد : " اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته " [١١٦] .

قالوا : فهذا تفسير ذلك الحديث ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته .

قالوا : فجائز أن يقول الرجل لكل من أزواج محمد ﷺ ومن ذريته ﷺ : صلى الله عليك ، إذا واجهه وصلى الله عليه إذا غاب عنه ، ولا يجوز ذلك في غيرهم ، قالوا : والآل والأهل سواء وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث .

والقول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم ، وأقدم من رُوي عنه هذا القول جابر بن عبد الله ﷺ ذكره البيهقي عنه عن سفيان الثوري وغيره و اختاره بعض أصحاب الشافعي ، حكاه أبو الطيب الطبري في تعليقه ورجحه الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم واختاره الأزهري .

والقول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة .

ثم ذكر رحمه الله أدلة كل فريق باستفاضة فليراجعها من شاء هناك .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ : يذهب الرجس عنهم ويطهرهم بما يأمر به من طاعة الله ، وينهى عنه من معصيته.

والرجس : الإثم والذنب المدنسان للأعراض ، وفي استعارة الرجس للمعصية تنفير عنها بليغ وزجر لفاعلها . والجملة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ ... ﴾ تفيد تعليل أمرهن ونهيهن .

﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ : أي بالتقوى أكد الفعل بالمصدر فدل على الحقيقة.

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ : وهذا امتنان من الله تعالى على أزواجه ﷺ بأن جعلهن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة ، وهذا أمر يستحق الشكر لله تعالى على هذه النعمة ، فالبيت الذي يقوم على ذكر الله وآياته نعمة كبرى . فآيات الله القرآن ، والحكمة السنة النبوية .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ : أي : ذا لطف بكن إذ جعلكن في هذه البيوت التي تتلى فيها آيات الله ، ﴿ خبيرًا ﴾ بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجًا، فهن اختيار الله عز وجل ؛ فمن طعن فيهن فقد طعن في اختيار الله عز وجل، وهذا كفر مخرج من الملة بإجماع .

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

سبب نزول الآية : أخرج أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها تقول : قلت للنبي ﷺ ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر ، قالت : وأنا أُسرح شعري ، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي حجرة بيتي ، فجعلت سمعي عند الجريد ، فإذا هو يقول عند المنبر : " يا أيها الناس إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ إلى آخر الآية [١١٧] .

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ : فيه دليل على أن الإيمان غيرُ الإسلام وهو أخص منه ، لقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [١١٨] . وفي الصحيحين : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " [١١٩] فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره بالإجماع . فالمسلمين والمسلمات هذا في الشرائع الظاهرة (والمؤمنون والمؤمنات) هذا في الأمور الباطنة ، من عقائد القلب وأعماله [١٢٠].

سبب نزولها : أخرج الترمذي عن أم عُمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن بشيء ، فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ [١٢١] .

﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ : القنوت : الإمساك عن الكلام ، والدعاء في الصلاة ، والخشوع ، وإطالة القيام ، والطاعة ، وقَنَتَ الله : أطاعه .

﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ هنا : المداومين على الطاعات القائمين بها .

﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾ : في أقوالهم ، وهو علامة على الإيمان ، كما أن الكذب أمارة على النفاق . والأحاديث في هذا كثيرة جدًا : " عليكم

بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا " [١٢٢] .

﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾ : على الطاعة وعن المعصية وعلى المعصية ، والصبر عند أول المصيبة كما صح عنه ﷺ ، عن أنس بن مالك ﷺ قال : مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر ، فقال : " اتقي الله واصبري " قالت : إليك عني ، فإنك لم تُصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ ، فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : " إنما الصبرُ عند الصدمةِ الأولى " [١٢٣] . والصبر لغة : الحبس .

﴿ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ﴾ : الخشوع : التواضع بالقلب والجوارح . ومعناه (رمى ببصره نحو الأرض وغضه وخفض صوته) [١٢٤] . وهو أيضًا : الطمأنينة والسكون والوقار .

﴿ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ : من فرض ونافلة .

والصدقة : الإحسان إلى المحاويج الذين لا كسب لهم .

ففي البخاري : " سبعة يظلهم الله ... – فذكر منهم – ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ... " [١٢٥] ، ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [١٢٦] .

و" الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار " قال ﷺ : " وأتبع السيئة الحسنة تمحها " [١٢٧] ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [١٢٨] وهي " تطفئ غضب الرب " [١٢٩] و " المؤمن في ظل صدقته ... " والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا .

﴿ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ﴾ : فرضًا ونافلة .

﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ : عن المحارم والمآثم عن الزنا ومقدماته إلا عن المباح ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (١٣٠) .

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ : باللسان والقلب ، بكثرة. قال ﷺ : " إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات " (١٣١) . وأمر بكثرة الذكر لمكانته وسهولته وعظيم أجره .

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ : خبر لجميع ما تقدم ، مغفرة لجميع ذنوبهم ، وأجرًا عظيمًا على طاعتهم السابقة والذكر . والأجر العظيم : هو الجنة .

﴿ لَهُم ﴾ : ضمير مذكر ، لتغليب الذكور على الإناث ، وإلا فهو لهم ولهن.

والحكم المعلق على وصف يقوى بقوته وينقص بنقصه (١٣٢).

فبكمال هذه الأوصاف يكمل لصاحبها ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم ، وبنقصانها ينقص ، وبانعدامها يفقد (١٣٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبِينًا ۞ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۞ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۞ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[١٣٤] .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ : ﴿ وَمَا كَانَ ﴾ : وما ينبغي ، معناها : المنع والحظر من الشيء وأنه لا يحل شرعًا ، وقوله : ﴿ لَهُمُ ﴾ و ﴿ أَمْرِهِمْ ﴾ : بصيغة الجمع ، لأن (مؤمن ومؤمنة) نكرة في سياق النفي فتعم كل مؤمن ومؤمنة . والأمر يقتضي الوجوب إلا لصارف [١٣٥].

﴿ الْخِيَرَةُ ﴾ : مصدر بمعنى الاختيار .

هذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ، ولا رأي ولا قول كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [١٣٦] فلا يحل عرض حكم الله للتصويت ، ولا يحل عند النزاع مخالفة حكم الله تعالى مهما كانت المبررات .

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ : في أمر من الأمور ،

فقد ضل عن طريق الحق ضلالًا ظاهرًا واضحًا لا خفاء فيه .

(العصيان خلاف الطاعة ، عصى ربه إذا خالف أمره) .

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ : هو زيد بن حارثة ، أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه الرسول ﷺ بالعتق ، كان حبيبًا إلى رسول الله ﷺ يقال له الحب ، ولابنه أسامة الحِب ابن الحِب ، كان رسول الله ﷺ زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وقع بينهما خلاف فجاء يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل ﷺ يقول له : " أمسك عليك زوجك واتق الله " (١٣٧).

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ : ورد في هذا بعض الآثار التي لا تصح ، و لا تليق بعصمة النبي ﷺ . وأصح ما ورد في هذا من أقوال هو أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ بأنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، أو وقع في نفسه ﷺ أن زيدًا لو طلقها لتزوجها هو . فلما جاءه زيد يشكوها إليه قال : " اتق الله وأمسك عليك زوجك " فهذا الذي أخفاه ﷺ وليس الذي أخفاه ميله إليها ورغبته فيها ومحبته إياها ، فهذا لا يليق بمقام النبوة ، بل هذا من رفيع أدبه ﷺ وعظيم تقواه ، فإنه بهذا القول لزيد ، إنما يقول الكلام المناسب في مكانه المناسب ، وحتى لا يكون سببًا في هذا الطلاق . فقد أفتى النبي ﷺ زيدًا بأمانة العالم التقي ، والمستشار مؤتمن .

﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ : خشي مقالة الناس أن يقولوا : إنه يريد الزواج بزوجة متبناه . قالت عائشة : لو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية (١٣٨) . ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ : في موضع الحال .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ : الوطر : الحاجة مع الهمة ، وجمعه أوطار (١٣٩) . و " لما " حرف وجوب لوجوب ، أو وجود لوجود ، لا يليها إلا فعل ماض .

﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ : جواب لمَّا ، وفيه فضيلة لزيد حيث سماه الله في القرآن دون غيره من الصحابة ، وفضيلة لزينب أم المؤمنين ، حيث تولى الله تزويجها من رسول الله ﷺ ، الذي ولّي تزويجها هو الله عز وجل ، يعني : دخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر .

روى البخاري عن أنس قال : إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات (١٤٠) .

عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد " اذهب فاذكرها عليّ " (١٤١) قال : فانطلق حتى أتاها ، قال : وهي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهري ، وركضت على عقبي ، فقلت : يا زينب ، أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي عز وجل ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل – يعني القرآن – وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، قال : ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم . قال هاشم : حين عرفت أن النبي ﷺ خطبها . قال هاشم في حديثه : لقد رأيتنا حين أدخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتَّبَعْتُه فجعل يَتَتَبَّعُ حجر نسائه ، فجعل يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله ، كيف وجدت أهلك ؟ قال : فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أُخبر . قال : فانطلق حتى دخل البيت ،

فذهبت أدخل معه . فألقى الستْرَ بيني وبينه . ونزل الحجاب . قال : ووُعظ القوم بما وعظوا به . قال هاشم في حديثـــه : ﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ (١٤٢) .

قال أنس : فما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ، ذبح شاة (١٤٣).

﴿ لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ : أي : فعلنا ذلك التزويج حتى لا يبقى حرج على المـــؤمنين فـــي تزويج مطلقات الأدعياء " تطبيق عملي " وهذا أقوى للحكم . وذلك أن النبي ﷺ كان قد تبنى زيـــدًا قبل النبوة فكان يقال لـــه : زيد بن محمد ، فلما قطع الله ذلك بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ... إلى قوله : ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْـــدَ اللَّهِ ﴾ ثم زاد ذلك بيانًا وتأكيدًا بوقوع تزويج النبي ﷺ بزينب لما طلقها زيـــد رضي الله عنهما . ولهذا قال في سورة النساء : ﴿ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ ﴾ (١٤٤) . احتراز لإخراج زوجة الابن الدعي .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ : أي : هذا الأمر الذي وقع قـــد قـــدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة ، وزينب في علم الله تعالى ستصـــير مـــن أزواج النبي ﷺ .

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ : يعني : فيما أحل لـــه وأمره به من تزويج زينب مطلقة زيد رضي الله عنهما ، ولا ذنب عليه فيما فرض له وقدر من الزوجـــات حيـــث أباحه للأنبياء من قبله .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ : أي : هذا حكم الله في الأنبياء قبله لا يأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج . والحرج الضيق والإثم [١٤٥] .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ : أ ي : ما قدره كائن لا محالة وواقع لا محيد عنه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ومقدورًا للتوكيد .

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ : يمدح سبحانه وتعالى ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ ﴾ صفة للذين خلوا [١٤٦] : أي : يبلغونها إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ ﴾ : أي : يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه ولا تمنعهم سطوة أحد عن ذلك .

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ : ناصرًا ومعينًا . وسيد الناس في هذا المقام هو محمد ﷺ وفي كل مقام ، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه ، فقد قام بالرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب من عرب وعجم ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [١٤٧]. ثم قام أصحابه من بعده بهذا المقام خير قيام ، وبذلوا دماءهم ومهجهم رخيصة في سبيل الله تعالى ونشر دينه بأمانة وإخلاص . أخرج أحمد عن أبي سعيد قال : قال ﷺ : " لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله ، فيقول الله : ما يمنعك أن تقول فيه ؟ فيقول : رب خشيت الناس ، فيقول : أنا أحق أن يُخشى " [١٤٨] .

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ : نهى أن يقال زيد بن محمد بعد هذا.

﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ :

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه ﴾ [١٤٩] . وهذا نص على أنه لا نبي بعده ولا رسول بعده من باب أولى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فكل رسول نبي ولا عكس .

قال ﷺ : " مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام " [١٥٠] . فكل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب دجال ضال ، مضل .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ : هذا أمر من الله تعالى لعباده بكثرة الذكر لـه سبحانه .

أخرج أحمد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم " ، قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال ﷺ : " ذكر الله عز وجل " [١٥١] .

وقال ﷺ : " لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله تعالى " [١٥٢] .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا ، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر ، فإن الله تعالى لم يجعل لـه حدًّا ينتهي إليه ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه ، فقال : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ [١٥٣] بالليل والنهار في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال أ.هـ .

والذكر حصن حصين من الشيطان . عن الحارث الأشعري أن رسول الله ﷺ قال عن يحيى بن زكريا عليه السلام : " ... وآمركم بذكر الله كثيرًا، ومثل ذكر الله كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه ، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله .. " (١٥٤) .

﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ : أي : عند الصباح والمساء ، كقوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (١٥٥) وخصهما بالذكر لمزيد الثواب فيهما .

والتسبيح : التنزيه لله من كل نقص . وخَص التسبيح بالذكر بعد ذكر عموم الذكر تنبيهًا على مزيد شرفه ، وكثرة الثواب فيه .

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ : يعني : صلاة الغداة وصلاة العصر .

الأصيل : العشي ، وهو ما بعد العصر إلى المغرب ، وجمعه أصائل وأُصُل و آصال .

المساء : ما بين الظهر إلى المغرب .

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ ﴾ : الصلاة من الله : الثناء على العبد عند الملائكة ، وقيل الرحمة ، والصلاة من الملائكة : الدعاء والاستغفار كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ... ﴾ (١٥٦) .

أخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث ، اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ... " (١٥٧) .

﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ : تعليل متعلق بـ ﴿ يُصَلِّي ﴾ أي :

بسبب رحمته بكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والهداية ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (١٥٨) .

﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ : في الدنيا والآخرة .

فيما أخرجه البخاري عن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيًا لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته ، فقال ﷺ : " أترون هذه تلقى ولدها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ " قالوا : لا . قال رسول الله ﷺ : " فوالله لله أرحمُ بعباده من هذه بولدها " (١٥٩) .

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ : أي : من الله تعالى يسلم عليهم كما قال سبحانه : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ (١٦٠) .

- وقيل يسلم بعضهم على بعض : ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ (١٦١) .

- وقيل تسليم الملائكة عليهم : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (١٦٢) .

السلام والسلامة : البراءة . وتسليم منه : تبرأ . وقيل للجنة دار السلام ، لبراءتها وسلامتها من الآفات .

- والسلام عليكم : إخبار بالسلامة من الشر . وفي حق الله تعالى : السلام من كل عيب ونقص وآفة ، لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله .

قال ابن القيم في النونية :

وهو السلام على الحقيقة سالمٌ من كل تمثيل ومن نقصان

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ : يعني : الجنة وما فيها من نعيم ما لم تره عين ولم يخطر على قلب بشر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٦٣) .

ثم ذكر سبحانه صفات النبي ﷺ التي أرسله لها فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

جاءت صفته ﷺ في التوراة . عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : " وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ (١٦٤) ولا غليظ (١٦٥) ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا " (١٦٦) .

﴿ شَاهِدًا ﴾ : لله بالوحدانية ، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة ﴿ وَجِيْنَا

بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ [١٦٧] . وكقوله : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [١٦٨] .

﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ : مبشرًا بالجنة لمن آمن به ، ونذيرًا للكافرين من عذاب النار ، ﴿ مُبَشِّرًا ﴾ : حال . و ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ : حال .

﴿ وَدَاعِيًا ﴾ : إلى توحيد الله تعالى ، بأمره سبحانه .

﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ : منصوب على الحال . و ﴿ مُنِيرًا ﴾ : نعت . وأمر النبي ﷺ واضح ظاهر كالشمس في إشراقها ليس دونها سحاب ، لا يجحدها إلا معاند . وقيل : ذا سراج منير يعني القرآن .

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ : هو الجنة وما أعد الله فيها من العطاء الجزيل ، والنعيم المقيم الذي لا ينقطع . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [١٦٩] .

الكبير والصغير : في الكمية المتصلة كالأجسام .

والكثير والقليل : في الكمية المنفصلة كالعدد [١٧٠] .

﴿ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ : نهاه عن طاعتهم والسمع منهم ، ومشاورتهم . وقيل : فيها تعريض لأمته لأنه ﷺ معصوم عن طاعتهم من باب إياك أعني واسمعي يا جارة .

﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ : اعف واصفح عنهم ، وكل أمرهم إلى الله تعالى .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ : في كل شئونك فوض أمرك إليه سبحانه وعلق قلبك به .

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ : موكلًا إليه الأمور وفي كل الأحوال .

والوكيل : الحافظ القائم على الأمر .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ

﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ : النكاح هنا : العقد .

مسألة : فيطلق النكاح على العقد وحده . وهذه مسألة خلافية فيها ثلاثة أقوال :

١ – النكاح حقيقة في العقد وحده وهو الصحيح لصريح الآية .

٢ – في الوطء .

٣ – فيهما جميعًا .

وفي الآية دلالة على إباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها .

﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ : خرج مخرج الغالب ، إذ لا فرق بين المؤمنة والكتابية في ذلك باتفاق .

مسألة : واستدل بعض أهل العلم بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح بخلاف مالك وأبي حنيفة فقد ذهبا إلى صحة الطلاق قبل النكاح .

مثاله : (إذا تزوجتُ فلانة فهي طالق) . والصحيح الأول ، وهو أنه لا طلاق إلا بعد النكاح . والمروي عن ابن عباس أنه لا طلاق إلا بعد النكاح . وقال ﷺ : " لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك " [١٧١] . قال ابن كثير : هذا أحسن شيء روي في هذا الباب . وقال : " لا طلاق قبل النكاح " [١٧٢] .

مسألة : وقوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ : أجمعوا على أن المرأة المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها ، وتبين من أول يوم ، ولا تحل له إلا بنكاح جديد . وأجمعوا على أن المتوفى عنها زوجها فإنها تعتد عدة الوفاة وإن لم يدخل بها وهي ترثه .

مسألة : ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ : المتعة هنا : متعة

الطلاق . وهي أعم من أن تكون مقدرة أوغير مقدرة . وقد فصلت هذا العموم آيات البقرة ، فجعلت لمن سُمي لها المهر نصفَ المهر إذا طلقت قبل الدخول ، أما التي لم يسم لها مهر فلها متعة غير مقدرة . قال تعالى : ﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۞ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (١٧٣) .

فالمطلقة قبل الدخول ولم يفرض لها ، فليس لها إلا المتعة المنصوص عليها في آية البقرة ، وهو قول الجمهور . وتكون بحسب يسار الزوج وإعساره . وأما المطلقة قبل الدخول وقد سُمي لها مهر فلها نصف المهر المسمى وهو متعتها الواجبة لها لا تستحق شيئًا غيره (١٧٤) .

مسألة : المتعة واجبة لكل مطلقة لقوله تعالى : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٧٥) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ : يعني : أن الله تعالى أحل لنبيه ﷺ من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن . وعلى هذا يكون قد أباح له كل النساء .

﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ : وأباح ملك اليمين من المغانم .

نكتة لغوية : ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ ﴾ :

وحَّـد لفـظ الذكر لشرفه وجمع الإناث لنقصهن . ومثاله : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ [١٧٦] . و ﴿ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النور ﴾ [١٧٧] .

﴿ اللاتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ : يعني : إلى المدينـــة خـــرج مخـــرج الغالب . وحديث أم هاني بنت أبي طالب ضعيف وفيه خطبة النبي ﷺ إياها ، واعتذارها ؛ لأنها لم تهاجر معه [١٧٨] .

﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ ﴾ : بغير مهر . وقال : " للنبي " ، ولم يقل : لك ؛ للدلالة على الخصوص ؛ ولو قال : لك لأُخذ جوازه لغيره ، وهذا الأسلوب يسمى وضع الظاهر موضع المضمر [١٧٩] .

وكذلك الصفة إذا وقعت للنكرة فهي مخصصة [١٨٠] ، فمؤمنـــة صـــفة لامرأة ، وهي نكرة .

ومثاله أيضًا قوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [١٨١] ، فرقبة نكـــرة ، ومؤمنة صفة لها ، فتختص بالرقيق المسلم .

﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ : إن شاء النبي ﷺ ذلك . أخـــرج ابـــن أبي حاتم عن ابن عباس قال : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها لـــه [١٨٢] .

وقال قتادة : ﴿ اللاتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ : أي : أسلمن .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك عن أبي حازم عـــن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت : يا رســـول الله إني قد وهبت نفسي لك ، فقامت قيامًا طويلًا ، فقام رجل فقال : يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله ﷺ : " هل عنـــدك مـــن شيء تصدقها إياه ؟ " فقال : ما عندي إلا إزاري هذا ، فقال رسول الله ﷺ : " إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك ، فالتمس شيئًا " فقال : لا أجد شيئًا ،

فقال : " التمس ولو خاتمًا من حديد ؟ " فالتمس فلم يجد شيئًا ، فقال له النبي ﷺ : " هل معك من القرآن شيء ؟ " قال : نعم ، سورة كذا وسورة كذا – السور يسميها – فقال له النبي ﷺ : " زوجتكها بما معك من القرآن " . أخرجاه من حديث مالك [١٨٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا مرحوم ، سمعت ثابتًا يقول : كنت مع أنس جالسًا وعنده ابنة له ، فقال أنس : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله هل لك فيَّ حاجة ؟ فقالت ابنته : ما كان أقل حياءها ، فقال : " هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها " . انفرد بإخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد العزيز .

﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : هذه خصوصية له ﷺ فلو أن رجلًا من المسلمين وهبت امرأة نفسها إليه لم تحل له حتى يُعطيها شيئًا .

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ : أي : حصرهم في أربع نسوة حرائر ، وما شاءوا من الإماء .

﴿ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : أي : فيما اختصك الله تعالى به من أحكام النكاح فأباح لك الواهبة من غير عوض .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۞ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي

مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ۞ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١٨٤) .

﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ : الإرجاء : التأخير . والإيواء : الضم . فالمعنى : تؤخر عود الضمير : من تشاء منهن وتضم إليك من تشاء منهن ، والضمير هل هو عائد إلى الواهبات ؟ أم إلى النساء اللاتي عنده ؟ .

والمسألة فيها حديثان :

- **الأول** : عن عائشة قالت : كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى : ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ** ﴾ قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك (١٨٥) .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن منصور الجعفي ، حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير ، أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له . وإن ذلك مباحًا له ومخصوصًا به ، لأنه مردود إلى مشيئته ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا** ﴾ : أي : إن اختار ذلك .

- **الثاني** : قال البخاري : حدثنا حبان بن موسى ، حدثنا عبد الله هو

ابن المبارك ، أخبرنا عاصم الأحول عن معاذ عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ فقلت لها : ما كنت تقولين ؟ فقالت : كنت أقول إن ذلك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدًا [١٨٦] فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم ، وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ، ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات ، وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي ، وفيه جمع بين الأحاديث ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ .

والقَسْم : من نفسه ﷺ ومال . وقوله : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ : المعنى : أنهن يُسلمن لله ولحكمه وكُنَّ قبل لا يتسامحن للغيرة ، فبعد أن وضع الله تعالى عنه الحرج في القسم رضين بذلك وقرت أعينهن لأنه لا حق لهن فيه ، ومع ذلك فقد كان ﷺ يقسم بين نسائه ويساوي بينهن تطييبًا لقلوبهن ، ولما اشتكى في مرضه الذي مات فيه كان في بيت ميمونة فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فرضين بذلك رضى الله عنهن . ومعنى تقر أعينهن : أي : تطيب أنفسهن وترضى [١٨٧] .

﴿ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ : يحتمل أكثر من معنى :

- الأول ﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض : مَنْ أرَدْتَه ممن سبق أن عزلته وأخرته فلا جناح عليك في رده .

- الثاني : للتأكيد ، لقوله : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء ﴾ وهذا يصح أن يكون في القسم ، ويصح أن يكون في الطلاق والإمساك في الواهبات .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ : يعني : قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه ، كما قال ﷺ : " اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " [١٨٨] : يعني القلب .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ : أي : بضمائر السرائر . ﴿ حَلِيمًا ﴾ : أي : يحلم ويغفر . والحلم بالكسر : الأناة والعقل ، وجمعه أحلام وحُلوم . والحِلم نقيض السفه . قال ﷺ : " إنما العلم بالتعلم ، والحِلم بالتحلم ، ومن يتحرّ الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه " [١٨٩] . وهو في حق الله تعالى : ذو الصفح والأناة ، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم . قاله الطبري .

﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ : هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن كما تقدم في الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ ﴾ فلما اخترن الله ورسوله كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه الزواج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجًا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء فلا حرج عليه فيهن ، فهذه الآية ناسخة للآية السابقة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ ، وذهب آخرون إلى أن هذه الآية ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ : منسوخة بالتي قبلها في الترتيب في المصحف ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ ، وهذا كآيتي الوفاة في سورة البقرة الأولى ناسخة للتي بعدها ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [١٩٠] ،

و ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٩١) .

واستدلوا لذلك بما رواه أحمد عن عائشة قالت : ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء (١٩٢) وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن أم سلمة . والصحيح الأول ورجحه الطبري واستحسنه ، وخلُص ابن كثير إلى القول بأن الآية دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللاتي في عصمته وأنه لا يستبدل بهن غيرهن . وحديث عائشة ليس فيه دليل صريح على أن آية ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا ﴾ ناسخة لـ ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ ﴾ . وكل ما يفهم منه هو أن الله تعالى قد أحل له النساء دون تحديد في مرحلة من مراحل حياته .

﴿ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ : نهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن استبدال غيرها بها ، إلا ما ملكت يمينه .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ : لا يعزب عنه علم شيء ولا يعجزه حفظه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ : هذه آية الحجاب ، وهي من موافقات القرآن لعمر ﷺ وهي قوله : " يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن ،

فأنزل الله آية الحجاب ... " [١٩٣] . و كان وقت نزولها صبيحة عرس رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش في ذي القعدة سنة ٥ هـ .

قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي ، حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي ، حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك ﷺ قال : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا ، ثم جلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي ﷺ ليدخل ، فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ الآية ، وقد رواه أيضًا في موضع آخر ، ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به [١٩٤] . ثم رواه البخاري منفردًا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس ﷺ بنحوه ، ثم قال : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بنى النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعيًا ، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه ، فقلت : يا رسول الله ما أجد أحدًا أدعوه ، قال : " ارفعوا طعامكم " . وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال : " السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته " قالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك يا رسول الله ؟ بارك الله لك ؟ فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي ﷺ فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج منطلقًا نحو حجرة عائشة ، فما أدري أخبرته أم أُخبر أن القوم خرجوا ، فرجع حتى

إذا وضع رجله في أُسكفَّة الباب داخله والأخرى خارجه ، أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب [١٩٥] .

﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ : حظر عليهم ذلك بدون إذن كما كانوا يصنعون في الجاهلية وابتداء الإسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك. قال ﷺ : " إياكم والدخول على النساء " [١٩٦] .

﴿ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ : استثناء . إناه : مصدر أنى يعني : حان [١٩٧] ﴿ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ : غير متحينين نضجه واستواءه، وهذا دليل على تحريم التطفيل .

﴿ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ : أي : فتفرقوا واخرجوا.

﴿ وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ : في موضع جر معطوف على ﴿ نَاظِرِينَ ﴾ يعني : بعد أن تأكلوا ، ولا متحدثين إيناسًا من بعضكم لبعض .

﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ﴾ : دخولكم بغير إذن وإطالة الجلوس بعد الطعام ، كان حياءُ النبي ﷺ يمنعه من بيانه وإظهاره فنفى الله تعالى عن نفسه هذه العلة .

الحياء : الاستحياء . والحيا : المطر والخصب . والحياء هو : انقباض النفس عن القبائح وتركه ذلك . والله تعالى حيي ، يعني : كثير الحياء . على الوصف اللائق بجلاله سبحانه ، ليس كحياء المخلوقين .

قالت أم سلمة : جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال : " إذا رأت الماء " [١٩٨] .

وقال ﷺ : " إن الله حيي ستير يحب الحياء والسَّتر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر " [١٩٩] .

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ : ﴿ مَتَاعًا ﴾ : أي : حاجة .

﴿ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ : أي : من وراء ستر .

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ : أي : السؤال من وراء الحجاب . وهو مبتدأ ، وخبره ﴿ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ : من الخواطر التي تعرض للرجال وللنساء ومن الريبة ، وهذه قرينة واضحة لقصد تعميم الحكم ، وقد تقرر في الأصول : أن العلة قد تعمم معلولها [٢٠٠] .

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ : لأنهن أمهات المؤمنين وأزواجه في الجنة ، فحرمتهن كحرمة الأمهات ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ : إشارة إلى نكاح أزواجه من بعده . ﴿ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ : أي : ذنبًا عظيمًا وخَطْبًا هائلاً شديدًا .

﴿ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ : لا تخفى عليه خافية ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [٢٠١] . ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [٢٠٢] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۞ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٢٠٣) .

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ : الجناح : الحرج والإثم .

هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم ، كما استثناهم في سورة النور في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ (٢٠٤) .

لم يذكر العم ولا الخال ، لأنهما ينعتان لأبنائهما ، قاله بعضهم ، وكرهوا أن تضع المرأة خمارها عند عمها أو خالها .

﴿ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾ : دخل فيه جميع النساء ، الأخوات والأمهات وجميع القرابات . قال ﷺ : " لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها " (٢٠٥) .

﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ : فيجوز أن تظهر زينتها لها وإن كانت مشركة ، وذهب أكثرهم إلى أنها يجوز لها أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء .

﴿ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ : اخشينه في الخلوة والعلانية فإنه شهيد على كل شيء لا تخفى عليه خافية فراقبن الرقيب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ : تشريف من الله تعالى لنبيه ﷺ ، وذكر منزلته منه . قال البخاري : قال أبو العالية : صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء .

قال ابن عباس : يصلون يبركون . وقال بعضهم : صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار .

قاعدة :

إذا كان للاسم الواحد معان عدة حُمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق [٢٠٦] ، وهذا اللفظ واحد ومعانيه متعددة ، فلا مانع من حمله على جميع معانيه ؛ ولكن بحسب ما يقتضيه وروده في السياق .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ : ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمين ، العلوي والسفلي . قال ﷺ : " إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه " [٢٠٧] . قال البخاري عن كعب بن عجرة قيل : يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد " [٢٠٨] . وعن فضالة بن عبيد قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال ﷺ : " عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره ... " [٢٠٩] . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " من صلى علي واحدة ، صلى الله عليه عشرًا " [٢١٠] .

قاعدة : التوكيد ينفي احتمال المجاز .

قال النحاس : " أجمع النحويون على أن الفعل إذا أُكد بالمصدر لم يكن

مجازًا . فإذا قال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة التي تعقل " (٢١١) .

وقد تحير المعتزلة في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ من سورة النساء : آية ١٦٤ ؛ لأن التكليم مؤكد بالمصدر ، فلا يمكن الادعاء بأنه إعام أو إشارة ، أو تعريف للمعنى النفسي – على حد زعمهم – بشيء غير التكليم ؛ ولهذا حملوه على معنى أضحك منهم العقلاء ، إذ قالوا : كلمه بأظفار المحن ، أو بأظفار الحكمة . (من الكلم ، وهو الجرح) (٢١٢) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ ﴾ : بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره والكفر والإشراك به سبحانه وتعالى .

﴿ وَرَسُولَهُ ﴾ : بعيب أو نقص به . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره " (٢١٣) . وقد كان أهل الجاهلية يقولون : يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا . فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل .

﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ : اللعن : الإبعاد والطرد .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ : أي : ينسبون إليهم ما هم برآء منه ولم يفعلوه .

﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ : قال ابن كثير : هذا هو البهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم . أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه قيل لرسول الله ﷺ : ما الغيبة ؟ قال : " ذكرك أخاك بما يكره " قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " (٢١٤) . وأخرج ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : قال رسول

الله ﷺ لأصحابه : " أي الربا أربى عند الله ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم " [٢١٥] . ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ... ﴾ . وحديث الرؤيا الطويل وفيه " فإذا رجل مستلق لقفاه ورجل قائم على رأسه بكلُّوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ، ومَنْخِرَهُ إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ... " [٢١٦] ، وفي نهاية المطاف قال الملكان للنبي ﷺ عن هذا الرجل : فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ... " . والبهت : بَهَتَ الرجل ، قال عليه ما لم يفعله ، والبُهت : الكذب . وبُهت : انقطع وتحير [٢١٧] . ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [٢١٨] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء .

والجلباب : هو الرداء فوق الخمار ، وهو الملحفة . عن ابن عباس قال : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهم بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة . وهذا أثر ضعيف عن ابن عباس ؛ علي لم يسمع من ابن عباس ولم يره ، وفيه راو فيه ضعف هو أبو صالح . عبد الله بن صالح [٢١٩] .

وفسر قتادة الإدناء بقوله : " أخذ الله عليهن أن يُقَنِّعْن على الحواجب " يعني : وليس على وجوههن كما قاله الطبري . وصح عن ابن عباس قوله " تُدني الجلباب إلى وجهها ولا تضرب به " أي : لا تستره . والإدناء : قال الراغب : ويقال : دانيت بين الأمرين : أدنيت أحدهما من الآخر [٢٢٠] .

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ : تعليل لما سبق . والمعرفة هنا معرفة بالصفة لا بالشخص ، يعني : من لباسها تعرف أنها حرة وليست أمة

فلا يتعرض لها أصحاب القلوب المريضة من المنافقين . وليس المقصود أن تعرف أنها فلانةٌ بالاسم . وكان عمر ﷺ إذا رأى أمة قد تقنعت ضربها بالدرة محافظة على زي الحرائر .

ويقال بأن سبب نزول الآية هو أنه كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء ، وكن يخرجن إلى قضاء الحاجة من ليل إلى ليل قبلَ المناصع وهو متبرزهن . فكان الفساق إذا رأوا على المرأة جلبابًا قالوا : هذه حرة فكفوا عنها .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : لما سلف من أيام الجاهلية .

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ : توعد الله المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر . وقيل : هم شيء واحد ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ ﴾ . والواو : لزيادة التفصيل في إظهار صفات الشيء الواحد .

﴿ وَالْمُرْجِفُونَ ﴾ : الإرجاف : إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به . ولاضطراب الناس . (الإشاعة) ، أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة ، وذكر الفتن . وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس . وجمعه أراجيف [٢٢١] .

﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ : لنسلطنك عليهم . واللام للقسم . والجملة جواب القسم .

﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : لا يجاورونك في المدينة إلا جوارًا قليلًا ؛ بالقتل أو بالنفي .

﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ : حال . يعني : مطرودين .

﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ﴾ : يعني : حيث وجدوا وأدركوا .

﴿ أُخِذُوا وَقُتِّلُوا ﴾ : قيل : دعاء عليهم . وقيل : هذا هو حكمهم . والأول أولى ، أو إذا أظهروا النفاق ﴿ أُخِذُوا وَقُتِّلُوا ﴾ .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ : هذه سنة الله وطريقته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه .

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا ﴾ : أي : تحويلًا وتغييرًا .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ۞ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ۞ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ۞ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٢٢٢] .

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ :كان سؤال المشركين عن الساعة استهزاء . وفي حديث جبريل عن عمر ﷺ : " متى الساعة ؟ " قال المسئولُ عنها بأعلم من السائل " [٢٢٣] . فهي مما اختص الله تعالى بعلمه ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [٢٢٤] . ولكن لها أمارات صغرى وكبرى . والناس هنا للجنس

فيشمل المؤمنين والكافرين ، فالمؤمنون يسألون استخبارًا واستعلامًا ، والكافرون يسألون استهزاءً وتكذيبًا .

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ : خطاب مستقل للرسول ﷺ . وما يعلمك يا محمد .

﴿ مَا ﴾ : استفهام في محل رفع مبتدأ والجملة خبر .

﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ : أي : في زمان قريب . و ﴿ لَعَلَّ ﴾ : هنا للإشفاق وهي لتوقع . تستعمل لعل لتوقع مرجو أو مخوف [٢٢٥] . فهي حرف توقع . وتذكير الظرف ؛ لأن الساعة تكون بمعنى الوقت أو اليوم . يعني : وقتها قريبًا أو يومها قريبًا . فإذا كان الرسول ﷺ وهو من هو لا يعلم وقتها فكيف بغيره ؟! وفي هذا تهديد ووعيد .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ ﴾ : أي : طردهم من رحمته وأبعدهم .

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ ﴾ : في الآخرة .

﴿ سَعِيرًا ﴾ : نارًا مستعرة مضطربة .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ : بلا انقطاع .

﴿ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ : لا مغيث ولا معين يخلصهم مما هم فيه .

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ : يسحبون على وجوههم في النار .

﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾ : ليت : حرف تمنٍ ، تكون في الممكن والمستحيل ، ولا تكون في الواجب [٢٢٦] . يقولون وهم كذلك يا ليتنا عندما كنا في الدنيا ممن أطاع الله والرسول . ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [٢٢٧] . وقال تعالى : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [٢٢٨] .

﴿ يَقُولُونَ ﴾ : جملة استئنافية أو حال .

﴿ الرَّسُولاَ ﴾ و ﴿ السَّبِيلاَ ﴾ لمناسبة رؤوس الآي وموافقة لخط المصحف . وتُسمى في الشعر ضرورة شعرية ، فتمد عند الوقف ، ولا تنطق عند الوصل ، وهذا مشهور في لغة العرب .

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ۞ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ : ﴿ سَادَتَنَا ﴾ : يعني : الأشراف . ﴿ وَكُبَرَاءَنَا ﴾ : يعني : العلماء . وقيل : باتحاد السادة والكبراء ، والعطف زيادة تفصيل في صفات الشيء الواحد .

﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ﴾ : فأزالونا عن طريق الهدى بما دَعُونا إليه ، زينوه من الباطل .

﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ : أي : عذبهم مثلَيْ عذابنا .

﴿ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ : أي : شديدًا عظيمًا .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إن موسى عليه السلام كان رجلًا حييًّا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى -عليه السلام- فخلا يومًا وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله عز وجل وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبًا

من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا – قال – فذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٢٢٩) .

ومن حديث ابن مسعود قال : قَسَم رسول الله ﷺ ذات يوم قَسْمًا ، قال : فقال رجل من الأنصار : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله عز وجل قال : فقلت : يا عدو الله ، أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت . قال : فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ، قال : ثم قال : " رحمة الله على موسى لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر (٢٣٠) .

﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ : أي : عظيمًا ، عظيم القدر رفيع المنزلة ، ذا قدر وجاه (٢٣١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا ﴾ : أمر الله تعالى عباده المؤمنين بتقواه ، وأن يقولوا قولًا مستقيمًا حقًّا فإن هم فعلوا ذلك فقد وعدهم بقوله تعالى : ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ : يوفقكم إلى صالح الأعمال ، ويمحو ما سبق منكم من ذنوب .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ : طاعة الله ورسوله في الأوامر والنواهي . ﴿ فَقَدْ فَازَ ﴾ في الدارين ، ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ : لا يقادر قدره .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ۝ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : الأمانة ضد الخيانة (٢٣٢) .

بين الله تعالى عظم شأن التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها .

واختلف الناس في الأمانة :

– فمنهم من قال : هي الطاعة .

- ومنهم من قال : الأوامر والنواهي .

- ومنهم من قال : الدين والفرائض والحدود .

- وقال بعضهم : غسل الجنابة .

وكل ذلك صحيح ، فالأمانة جميع ما أؤتمن عليه الإنسان من أوامر ونواهي بشرطها وهو أنه إذا أطاع أثيب وإذا عصى عوقب . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [٢٣٣] . وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٣٤] .

ومما يتعلق بالأمانة حديث حذيفة ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : " ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر المجل [٢٣٥] كجمر دحرجته على رجلك ، تراه منتبرًا [٢٣٦] وليس فيه شيء ، قال : ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال : فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلًا أمينًا ، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت إن كان مسلمًا ليردنه عليّ دينه ، وإن كان نصرانيًّا أو يهوديًّا ليردنه عليّ ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا [٢٣٧] وأخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة ، وصدق

حديث ، وحسن خليقة ، وعفة طعمة " هكذا رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، وقد قال الطبراني في مسنده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجيرة عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة طعمة " (٢٣٨) .

وقال ﷺ : " من حلف بالأمانة فليس منَّا " (٢٣٩) . وخيانة الأمانة من صفات النفاق اللازمة ، قال ﷺ : " أربع من كن فيه كان منافقًا خالصا – منها – إذا ائتمن خان ... " (٢٤٠) . وقال : " إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه " (٢٤١) .

وقال : " ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة " وفي رواية " فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة " (٢٤٢) . وقال جوابًا على سؤال الأعرابي عن الساعة : " فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة " قال : كيف إضاعتها ؟ قال : " إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " (٢٤٣) .

وقد روي أن الله تعالى عرض الأمانة على هذه المخلوقات فأبت فلما عرضها على آدم قبل تحملها . وهذا العرض من الله تعالى للأمانة على السموات والأرض والجبال عرض حقيقي ، وقد خلق الله تعالى لها إدراكًا يعلمه سبحانه ونحن لا نعلمه . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٢٤٤) . و ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٢٤٥) . و ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ (٢٤٦) . ومن السنة حنين الجذع (٢٤٧) . وقوله ﷺ :

" إني لأعرف حجرًا كان يسلم علي في مكة " [٢٤٨] . وحين أتاه الجمل وذرفت عيناه فمسحه رسول الله ﷺ وقال لصاحبه : " إنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه " [٢٤٩] .

فظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل [٢٥٠] .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ : : الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ راجع للفظ الإنسان ، وهو الإنسان الذي لا يحفظ الأمانة ، أي : كثير الظلم وكثير الجهل . ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فالظلوم الجهول من الإنسان هو المعذب وهم المنافقون والمشركون دون المؤمنين والمؤمنات . وقيل بأن الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ عائد إلى آدم . قيل : إنه كان ظلومًا لنفسه ، جهولًا بعواقب الأمور ، وما يتبع الأمانة من صعوبات ومسؤوليات . واللام في ﴿ لِيُعَذِّبَ ﴾ لام التعليل متعلق بقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ﴾ : أي : حُمِّل بنو آدم الأمانة ليعذب الله المنافقين .

تم تفسير السورة ولله الحمد والمنة

* * *

حواشي البحث

(١) هذه التعريفات نقلاً عن كتاب قواعد التفسير لخالد السبت من ص ٢٥ – ٢٩ .

(٢) انظر الصحاح (مادة : فسر) ٧٨١/٢، المصباح المنير (مادة : فسر) ص ١٨٠، لسان العرب (مادة : فسر) ١٠٩٥/٢، المفردات (مادة : فسر) ص ٦٣٦، مجمل اللغة (مادة : فسر) ٧٢١/٣، معجم مقاييس اللغة (مادة : فسر) ٥٠٤/٤، وللاستزادة راجع : العين (مادة : فسر) ٢٤٧/٧، تهذيب اللغة (مادة : فسر) ٤٠٦/١٢، الكليات : ٢٦٠، الإتقان : ٤/ ١٦٧، التحبير : ص ٣٦، تفسير البحر المحيط : ١٣/١، البرهان في علوم القرآن : ١٤٧/٢، مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني) ١٧٣، تفسير الخازن : ١/ ١٤، غرائب القرآن : ٥٧/١، المعجم الوسيط (مادة : فسر) ٦٨٨/٢، التحرير والتنوير : ١٠/١ .

(٣) انظر : زاد المسير : ٤/١ .

(٤) معجم مقاييس اللغة : (مادة : فسر) ٥٠٤/٤ .

(٥) انظر : البرهان : ١٤٧/٢ .

(٦) انظر : فتح البيان : ٢٤/١ .

(٧) انظر : الصحاح (مادة : فسر) ٧٨١/٢ .

(٨) انظر اللسان (مادة : فسر) ١٠٩٥/٢، وانظر المفردات (مادة : فسر) ص ٦٣٦ .

(٩) انظر : القاموس (مادة : فسر) ص ٥٨٧، وانظر شرحه تاج العروس: ٤٧٠/٣ .

(١٠) الصاحبي : ٣١٤ .

(١١) انظر : معجم مقاييس اللغة : (مادة : فسر) ٥٠٤/٤، وانظر مجمل اللغة : (مادة : فسر) ٧٢١/٣.

(١٢) تهذيب اللغة : (مادة : فسر) ٤٠٧/١٢، وانظر : اللسان :(مادة: فسر) ١٠٩٥/٢، العين : (مادة : فسر) ٢٤٨/٧ .

(١٣) انظر : الصحاح : (مادة : فسر) ٧٨١/٢ .

(١٤) انظر : الألوسي في التفسير : ٤/١ .

(١٥) انظر : الصاحبي : ص ٣١٤، المجمل : (مادة : فسر) ٧٢١/٣، معجم مقاييس اللغة : (مادة : فسر) ٥٠٤/٤ .

(١٦) تهذيب اللغة : (مادة : فسر) ٤٠٦/١٢ .

(١٧) انظر : الصحاح : (مادة : فسر) ٧٨١/٢ .

(١٨) انظر : اللسان : (مادة : فسر) ١٠٩٥/٢ .

(١٩) انظر : القاموس : (مادة : فسر) ص ٥٨٧ .

(٢٠) انظر : الإتقان :١٦٧/٤، التحبير : ٣٦ .

(٢١) انظر : روح المعاني ٤/١، وانظر نحوه في البرهان للزركشي : ١٤٧/٢ .

(٢٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، إمام في الأدب والشعر ولسان العرب . توفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة . وعمره ثمان وتسعون سنة . سير أعلام النبلاء : ٩٦/١٥ .

(٢٣) الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، مولاهم البغدادي . إمام، محدث، نحوي . ولد سنة مائتين . وتوفي سنة إحدى وتعسين ومائتين . سير أعلام النبلاء : ٥/١٤ .

(٢٤) انظر : تفسير البحر المحيط : ١٣/١ .

(٢٥) البرهان في علوم القرآن : ١٤٧/٢ .

(٢٦) انظر : بصائر ذوي التمييز : ٧٨/١ – ٧٩، التيسير في قواعد علم التفسير : ١٢٣ – ١٢٤ .

(٢٧) روح المعاني : ٤/١ .

(٢٨) انظر : مقدمة جامع التفاسير : ص ٤٧ .

(٢٩) انظر : الإكسير : ١ – ٢ .

(٣٠) انظر : التيسير في قواعد علم التفسير : ١٢٤ – ١٢٥، ١٥٠، التحبير : ص ٣٧، الفتوحات الإلهية : ٢/١، البرهان للزركشي : ١٣/١، التسهيل لابن جزي : ص ٦، ٧، روح المعاني : ٤/١، البحر المحيط لأبي حيان : ١٣/١، ١٤، الإتقان : ١٦٩/٤، فتح البيان : ٧/١، التعريفات : ٩١، كشاف اصطلاحات الفنون : ٣٣/١، الكليات : ٢٦٠، مناهل العرفان : ٤٧١/١ – ٤٧٢، ابن عاشور (التحرير والتنوير) ١١/١، حاشية مقدمة التفسير : ١٤١ .

(٣١) أحمد : ج ٥ حديث : ٢٠٢٦١ .

(٣٢) سورة الأحزاب : ١ – ٦ .

(٣٣) سورة يوسف : (٢٩) .

(٣٤) تفسير ابن كثير : سورة الأحزاب، ٥٧٥/٣ .

وطلق بن حبيب العنزي البصري : رمي بالإرجاء، وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم : صدوق في الحديث . نهى سعيد بن جبير عن مجالسته، تهذيب الكمال : ج ١٣ ترجمة ٢٩٨٨، وتهذيب التهذيب.

(٣٥) صحيح الجامع : (٧٦٨٧) .

(٣٦) أخرجه الترمذي : (٢٣٤٤)، وقال : (حسن صحيح) . والألباني في السلسلة الصحيحة : (٣١٠) .

(٣٧) سورة المجادلة : (٢) .

(٣٨) سورة المجادلة : (١) .

(٣٩) أخرجه البخاري : (ج/ ٤٧٨٢)، ومسلم : (ج/٢٤٢٥)، والترمذي: (٢١٧/١٣) . وصححه وأخرجه أحمد في المسند: (٧٧/٢).

(٤٠) سورة الأحزاب : (٣٧) .

(٤١) سورة النساء : (٢٣) .

(٤٢) البخاري : ١٤٩/٢ . ومسلم : ١٦٥/٤ .وأحمد :٢٧٥/١ . وغيرهم .

(٤٣) صحيح، أخرجه البخاري : (٤٦٧/١) . ومسلم : (٢١٧/٤) . وأحمد أيضاً : (١٢٦/١) . وأخرجه أبو داود : (٥١١٥)، من حديث أنس بن مالك .

(٤٤) صحيح . أخرجه البخاري : (٢٩٠/٤) . ومسلم : (٥٧/١) . والدارمي أيضًا : (٣٤٣/٢) . وابن ماجه : (٢٦١٠) . وأحمد : (١٦٩/١) . من طريق أبي عثمان عن سعد به . قال : فذكرته لأبي بكرة، فقال : وأنا سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ . راجع كتاب غاية المرام : ٢٦٦ .

(٤٥) سورة البقرة : (٢٨٦) .

(٤٦) صحيح الجامع (٣٥١٥) .

(٤٧) البخاري : (١٤) .

(٤٨) سورة الأحزاب : (٤٠) .

(٤٩) سورة التوبة : (١٢٨) .

(٥٠) صحيح الجامع : (٣٩) .

(٥١) تفسير ابن كثير : الأحزاب آية (٦) .

(٥٢) الأحزاب : ٧ – ١٥ .

(٥٣) سورة آل عمران : (٨١) .

(٥٤) سورة الشورى : (١٣) .

(٥٥) سورة هود : (٥٨) .

(٥٦) سورة الأعراف : (٦) .

(٥٧) سورة المائدة : (١٠٩) .

(٥٨) البخاري ومسلم .

(٥٩) سورة الأحزاب : (٢٢) .

(٦٠) سورة الأحزاب (١٢) .

(٦١) المرط : كساء غير مخيط .

(٦٢) فيه تصاوير الرحل .

(٦٣) هذه القصة حكم عليها الألباني بالصحة، وقال بأن سياقها مركب من ثلاث روايات . راجع تعليقه عليها في فقه السيرة ص ٣٣٣، الطبعة السادسة .

(٦٤) مختار الصحاح : عور .

(٦٥) سورة الأحزاب : ١٦ – ٢٢ .

(٦٦) سورة النساء : (٧٧) .

(٦٧) سورة يوسف : (٢١) .

(٦٨) قواعد التفسير : ٥٦٨/٢ .

(٦٩) مختار الصحاح : عصم .

(٧٠) مشكاة المصابيح وصححه الألباني : ٥٣٠٢ وقال رواه أحمد والترمذي.

(٧١) مختار الصحاح : عوق .

(٧٢) مختار الصحاح : شحح .

(٧٣) مختار الصحاح : سلق .

(٧٤) لسان العرب .

(٧٥) سورة الأحزاب : ٢٣ – ٣٠ .

(٧٦) لسان العرب : نحب .

(٧٧) رواه مسلم : ١٩٠٣ . الإمارة، والبخاري : ٢٨٠٥ .

(٧٨) السلسلة : ١٢٥ . عن عائشة رضي الله عنها . والترمذي : مناقب ٩٥ باب، حديث : ٣٩٨٨ عن معاوية ﷺ .

(٧٩) البخاري ومسلم : ١٢١٨ .

(٨٠) المصدر السابق : مسلم : ١٧٤٢ والبخاري : ٤١١٥ كتاب المغازي .

(٨١) أحمد : ٣ / ٤١٢ و ٤ / ٣٤٣ من مسند الحارث بن مالك، والترمذي : ١٦١١ .

(٨٢) البخاري : كتاب المغازي، حديث : ٤١١٠ عن سليمان بن صرد .

(٨٣) قواعد التفسير : ٢/٧٤٥ .

(٨٤) الصياصي : قرون الثور لأنه يحتمي بها، وصيصية الديك شوكته، والصياصي الحصون . (لسان العرب) .

(٨٥) الذروة : أعلا سنام البعير، والغارب : مقدم السنام، وهو ما بين السنام والعنق . وإذا أهمل البعير طرح حبله على سنامه، وترك يذهب حيث يشاء، ومعنى المثل : أنه ما زال يخادعه ويتلطفه حتى أجابه . (اللسان : غرب) .

(٨٦) أسوتهم : مشاركًا لهم، وآسيت فلانًا بمصيبته إذا عزيته (اللسان : أسا) .

(٨٧) إستبرق : ديباج غليظ . والديباج : ضرب من الثياب وهو ما زينت أطرافة بالديباج . (اللسان : دبج). والقطيفة : دثار مخمل . (اللسان : قطف) .

(٨٨) يعني : هات من يَعذِرُك .

(٨٩) الأكْحَل : عرق في وسط الذراع .

(٩٠) السيرة النبوية لابن كثير .

(٩١) الغبْن : في البيع الخداع، والغفلة، والغَبَن بالفتح : ضعف الرأي، والتغابن يوم القيامة : بين أهل الجنة والنار : استنقصوا عقولهم باختيارهم الكفر . (اللسان : غبن) .

(٩٢) قواعد التفسير : ٤٣٥/١ .

(٩٣) كتاب التفسير : ٤٧٨٥، ومسلم : الطلاق : ١٤٧٥ .

(٩٤) سورة البقرة : (٢٢٩) .

(٩٥) تفسير ابن كثير : الأحزاب : الآية ٢٨، ٢٩، وأحمد ٤٥/٦ .

(٩٦) سورة الزمر : (٦٥) .

(٩٧) سورة الزخرف : (٨١) .

(٩٨) سورة الأنعام : (١٦٠) .

(٩٩) سورة الحج : (٢٥) .

(١٠٠) سورة التوبة : (٣٦) .

(١٠١) سورة الإسراء : (٧٥) .

(١٠٢) سورة الأحزاب : (٣٠) .

(١٠٣) أضواء البيان : (٤٤٦/٦) .

(١٠٤) سورة الأحزاب : (٣١ – ٣٥) .

(١٠٥) المبسوط في القراءات العشر .

(١٠٦) الإرواء : (٢٧٣) . صححه الألباني .

(١٠٧) لسان العرب .

(١٠٨) سورة هود (٧٣) .

(١٠٩) حديث : (٤٧٩٣) .

(١١٠) سورة القصص : (٢٩) .

(١١١) سورة النمل : (٧) .

(١١٢) سورة القصص : (٢٩) .

(١١٣) مسلم : (٢٤٢/٤) .

(١١٤) جلاء الأفهام : (١١٢) .

(١١٥) البخاري : (٤٧٩٧ – ٦٣٥٧) .

(١١٦) البخاري : (٣٣٦٩ – ٦٣٦٠) .

(١١٧) الترمذي : (٣٠٢٢) وقال : هذا حديث مرسل، وضعفه الألباني .

(١١٨) سورة الحجرات : (١٤) .

(١١٩) البخاري : (٦٧٨٢ – ٢٤٧٥ – ٥٥٧٨) .

(١٢٠) تفسير ابن سعدي للآية .

(١٢١) حديث : (٢٥٦٥) . صححه الألباني في صحيح الترمذي، كتاب التفسير .

(١٢٢) صحيح ابن ماجه للألباني : (٣٨٤٩) .

(١٢٣) البخاري : (١٢٨٣) . ومسلم : ٩٢٦ .

(١٢٤) اللسان .

(١٢٥) حديث : (١٤٢٣) .

(١٢٦) سورة البقرة : ٢٧١ .

(١٢٧) الترمذي : بر : ٥٥، وأحمد : ١٥٣/٥ .

(١٢٨) سورة هود : ١١٤ .

(١٢٩) صححهما الألباني لشواهدهما : الإرواء : (٢٩٢١٣) .

(١٣٠) سورة المؤمنون : ٥ – ٦ .

(١٣١) صحيح الجامع : (٣٣٠) .

(١٣٢) قواعد التفسير : ٦٢٩/٢ .

(١٣٣) المصدر السابق .

(١٣٤) سورة الأحزاب : ٣٦ – ٤٤ .

(١٣٥) قواعد التفسير : ٤٨٠/٢ .

(١٣٦) سورة النساء : ٦٥ .

(١٣٧) تفسير ابن كثير : ٤٦٦/٥ وعزاه إلى البزار .

(١٣٨) البخاري : (٧٤٢٠) .

(١٣٩) اللسان : وطر .

(١٤٠) البخاري : (٧٤٢٠) .

(١٤١) يعني : اخطبها لي من نفسها .

(١٤٢) أحمد : (١٩٥/٣) . ومسلم : (١٤٢٨) . والآية من سورة الأحزاب : ٥٣ .

(١٤٣) البخاري : (٧٤٢١) و (٤٧٩٤) . وأبو داود : أطعمة (٢) . وعند البخاري : أطعم عليها يومئذ خبزًا ولحمًا، وعنده أيضًا : أولم رسول الله ﷺ فأشبع الناس خبزًا ولحمًا (٤٧٩٤) .

(١٤٤) سورة النساء : ٢٣ .

(١٤٥) اللسان : حرج .

(١٤٦) روح المعاني : ٢٨/٢١ .

(١٤٧) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(١٤٨) ابن ماجه وصححه الألباني : (٣٢٣٧) ،

(١٤٩) سورة الأنعام : ١٢٤ .

(١٥٠) البخاري : المناقب (٥٥) باب (١٨) .

(١٥١) صحيح سنن ابن ماجه : (٣٧٩٠) .

(١٥٢) صحيح الجامع : (٧٥٧٧ – ٣٢٨٣) .

(١٥٣) سورة النساء : (١٠٣) .

(١٥٤) صحيح سنن الترمذي : (٢٢٩٨) .

(١٥٥) سورة الروم : (١٧ – ١٨) .

(١٥٦) سورة غافر : ٧ – ٩ .

(١٥٧) البخاري : (٦٥٩) .

(١٥٨) سورة النور : ٤٠ .

(١٥٩) البخاري : (٥٦٥٣) .

(١٦٠) سورة يس : (٥٨).

(١٦١) سورة يونس : (١٠) .

(١٦٢) سورة الرعد : (٢٣) .

(١٦٣) سورة الأحزاب : ٤٥– ٥٠ .

(١٦٤) الفظ : الخشن الكلام .

(١٦٥) غليظ : شديد في غير لين، ذو قسوة في خلقه وطبعه وفعله ومنطقه وعيشه .

(١٦٦) البخاري : (٢٠١٨) .

(١٦٧) سورة النساء : (٤١) .

(١٦٨) سورة البقرة : (١٤٣) .

(١٦٩) سورة الشورى : ٢٢ .

(١٧٠) بصائر ذوي التمييز : ٣٢٣/٤ . بصيرة في : كبر .

(١٧١) الترمذي وصححه الألباني في الإرواء : (١٧٥١) .

(١٧٢) المصدر السابق .

(١٧٣) سورة البقرة : (٢٣٦ – ٢٣٧) .

(١٧٤) أحكام الزواج :٢٧٢ . د . عمر الأشقر .

(١٧٥) سورة البقرة : ٢٤١ .

(١٧٦) سورة النحل : ٤٨ .

(١٧٧) سورة المائدة : ١٦ .

(١٧٨) ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي : ٦٣٠ .

(١٧٩) قواعد التفسير : ٣٤١/١ .

(١٨٠) المرجع السابق : ٣٤٠/١ .

(١٨١) النساء : ٩٢ .

(١٨٢) تفسير ابن كثير : ٤٨٣/٥ وعزاه إلى ابن جرير .

(١٨٣) البخاري : (٥١٤٩) . وأحمد : (٨٢/١) .

(١٨٤) سورة الأحزاب : ٥١ – ٥٤ .

(١٨٥) البخاري : (٤٧٨٨) .

(١٨٦) البخاري : (٤٧٨٩) .

(١٨٧) اللسان : قرر .

(١٨٨) أبو داود : ٢١٣٤، والترمذي : ١١٤٠ نكاح، وحسنه الألباني في الإرواء : ٢٠١٨ .

(١٨٩) الصحيحة للألباني : (٣٤٢) عن أبي هريرة .

(١٩٠) سورة البقرة : ٢٣٤ .

(١٩١) سورة البقرة : ٢٤٠ .

(١٩٢) النسائي وصححه الألباني في النكاح : (٣٠٠٣) . والترمذي في التفسير : (٢٥٦٨ – ٣٤٤٦) .

(١٩٣) البخاري : (٤٧٩٠ – ٤٧٩١) .

(١٩٤) البخاري : (٤٧٩١) . ومسلم : (١٤٢٣) .

(١٩٥) البخاري : (٤٧٩١) . ومسلم : (١٤٢٣) .

(١٩٦) البخاري : (٥٢٣٢) . ومسلم : (٢١٧٢) .

(١٩٧) اللسان : أنى .

(١٩٨) البخاري : (١٣٠) . ومسلم : (١١٣) .

(١٩٩) صحيح النسائي : (٣٩٣) .

(٢٠٠) قواعد التفسير : ٦٥٧/٢ .

(٢٠١) سورة غافر : (١٩) .

(٢٠٢) سورة طه : (٧) .

(٢٠٣) سورة الأحزاب : (٥٥ – ٦٢) .

(٢٠٤) سورة النور : (٣١) .

(٢٠٥) البخاري : (٥٢٤٠).

(٢٠٦) السابق.

(٢٠٧) صحيح ابن ماجه :(١٣٢٦) للألباني .

(٢٠٨) البخاري ومسلم : انظر المشكاة للألباني : (٩١٩) .

(٢٠٩) صححه الألباني في المشكاة : (٩٣٠) .

(٢١٠) مسلم : (٤٠٨) .

(٢١١) قواعد التفسير : ٤٥٤/١ .

(٢١٢) قواعد التفسير : ٤٥٣/١ .

(٢١٣) البخاري : (٤٨٢٦) . ومسلم : (٢٢٤٦) .

(٢١٤) مسلم : (٢٥٨٩) .

(٢١٥) الصحيحة للألباني قال فيه : (أربى الربا شتم الأعراض) :(١٤٣٣) .

(٢١٦) البخاري : (٧٠٤٧) .

(٢١٧) اللسان .

(٢١٨) سورة البقرة :(٢٥٨).

(٢١٩) جلباب المرأة للألباني : ص ٨٨ .

(٢٢٠) مفردات الراغب : دنا .

(٢٢١) اللسان : رجف .

(٢٢٢) سورة الأحزاب : (٦٣ – ٧٣).

(٢٢٣) البخاري : كتاب الإيمان : (٥٠) . (الفتح) .

(٢٢٤) سورة لقمان : (٣٤).

(٢٢٥) الجنى الداني : (٥٧٩).

(٢٢٦) الجنى الداني : (٤٩١) .

(٢٢٧) سورة الفرقان : (٢٧ – ٢٩) .

(٢٢٨) سورة الحجر : (٢) .

(٢٢٩) البخاري : ٣٤٠٤ .

(٢٣٠) البخاري : (٣٤٠٥) . ومسلم : (١٠٦٢) .

(٢٣١) اللسان : وجه .

(٢٣٢) اللسان : أمن .

(٢٣٣) سورة النساء : (٥٨) .

(٢٣٤) سورة الأنفال : (٢٧) .

(٢٣٥) المجل : أثر العمل في الكف .

(٢٣٦) النبرة : الورم في الجسد .

(٢٣٧) البخاري : الفتن / باب إذا بقي في حثالة من الناس . ومسلم : (٧٠٨٦) .

(٢٣٨) الصحيحة للألباني : (٧٣٣) .

(٢٣٩) أبو داود : (٣٢٥٣) .

(٢٤٠) البخاري : الإيمان : (٣٤) .

(٢٤١) الصحيحة : (١٦١٢) .

(٢٤٢) البخاري : (٧١٥٠) . ومسلم : (١٤٢) .

(٢٤٣) البخاري : العلم : (٥٩) . (الفتح) .

(٢٤٤) البقرة : (٧٤) .

(٢٤٥) سورة الإسراء : (٤٤) .

(٢٤٦) سورة الأنبياء : (٧٩) .

(٢٤٧) البخاري : المناقب : (٣٥٨٣) . (الفتح) .

(٢٤٨) مسلم : الفضائل : (٢٢٧٧) .

(٢٤٩) مسلم : (١٧٨٢) .

(٢٥٠) قواعد التفسير : ٨٤٧/٢ .

فهرس المراجع والمصادر

١- جامع البيان للطبـــري - دار الكتـــب العلميـــة - ط أولـــى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٢- تفسير ابن كثير - لابن كثير - دار الفكر ط الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .

٣- بحر العلوم - للسمرقندي - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

٤- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - دار إحياء التـــراث - ط الثانيـــة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م .

٥- معالم التنزيل الحسين البغوي - دار طيبة - ط الأولى ١٤١٢هـ .

٦- التفسير الكبير للرازي - دار الكتب العلمية - ط الأولـــى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

٧- الدر المنثور للسيوطي - دار الكتب العلمية - ط الأولـــى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

٨- المحرر الوجيز عبد الحق بن عطية - مؤسسة دار العلوم - ط الأولى ١٣٩٨هـــ / ١٩٧٧م .

٩- روح المعاني محمود الآلوسي - دار إحياء التراث - ط الأولى

١٠- تفسير القاسمي للقاسمي - دار الفكر - ط الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١١- أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي - مكتبة ابن تيمية - ط الأولـــى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٢- فتح القدير محمد بن علي الشوكاني - دار الوفاء ودار الخـــاني - ط الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

١٣- مرويات أحمد في التفسير د. حكمت بشير ياسين - مكتبة المؤيد - ط الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

١٤- التفسير الصحيح د. حكمت بشير ياسين - دار المآثر - ط الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٥- النكت والعيون علي الماوردي - مطابع مقهوي - ط الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

١٦- قواعد التفسير خالد بن عثمان السبت - دار ابن عفان - ط الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

١٧- القواعد الحسان عبد الرحمن بن سعدي - دار ابن الجوزي - ط ثانية ١٤٢١هـ .

١٨- حسن التحرير في تهذيب تفسير ابن كثير محمد الحمود - دار الإمام أحمد - ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

١٩- البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي - دار الكتب العلمية - ط أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٢٠- الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي - المكتبة السعدية - ط أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٢١- قواعد الترجيح عند المفسرين حسين بن علي القرني - دار القاسم - ط أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٢٢- الطراز في شرح ضبط الخرار للإمام أبي عبد الله التنسي - تحقيق د. أحمد شرشال المصحف الشريف - مجمع الملك فهد للطباعة - ط أولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

٢٣- في علوم القرآن د. سليمان معرفي - مجلس النشر العلمي جامعة الكويت - ط أولى ٢٠٠٣م .

٢٤- المقدمات الأساسية في علوم القرآن عبد الله الجديع - مؤسسة الريان - ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٢٥- المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد أبو شهبه - أوقاف دولة الكويت - ط أولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٢٦- الإسرائيليات والموضوعات د. محمد أبو شهبه - مكتبة السنة - ط الرابعة ١٤٠٨هـ .

٢٧- الجني الداني في حروف المعاني الحسن بن قاسم المرداوي - دار الكتب العلمية - ط أولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٢٨- تفسير القرآن العزيز الإمام أبي زمنين - الفاروق الحديثة - ط أولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٢٩- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لأبي الفتح عثمان بن جني - دار الكتب العلمية - ط أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٣٠- مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني - دار القلم - ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣١- فضائل القرآن لابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ابن تيمية - ط أولى ١٤١٦هـ .

٣٢- لسان العرب لابن منظور مكتبة العلوم والحكم - ط الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٣٣- المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء - المكتبة الإسلامية - ط الثانية ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٣٤- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني - مجمع اللغة العربية بدمشق - ط أولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

٣٥- الناسخ والمنسوخ أبو جعفر النحاس - مؤسسة الرسالة - ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٣٦- أحكام قراءة القرآن الكريم محمود خليل الحصري - دار البشائر ط الخامسة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣٧- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي - دار المعرفة - ط الثالثة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٣٨- أحكام القرآن للإمام الشافعي - دار الباز - ط أولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٣٩- كتاب المصاحف لأبي بكر السجستاني - وزارة أوقاف قطر - ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٤٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - ط أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٤١- التحبير في علوم التفسير جلال الدين السيوطي - وزارة أوقاف قطر - ط أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٤٢- قطف الأزهار في كشف الأسرار جلال الدين السيوطي - وزارة أوقاف قطر - ط أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٤٣- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب محمد الأمين الشقبطي ابن تيمية- ط أولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٤٤- أسباب النزول أحمد بن حجر العسقلاني - دار ابن الجوزي - ط أولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٤٥- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د. مهدي رزق الله - مركز الملك فيصل للبحوث - ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٤٦- السيرة النبوية لابن كثير .

٤٧- صحيح السيرة النبوية محمد ناصر الدين الألباني - المكتبة الإسلامية - ط الأولى ١٤٢١هـ .

٤٨- الجامع المفهرس سليم الهلالي - دار ابن الجوزي - ط الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٤٩- تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي - مؤسسة الرسالة - ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٥٠- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري - دار السلام - ط أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٥١- صحيح مسلم مسلم بن الحجاج - دار الكتاب العربي - ط أولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٥٢- صحيح سنن الترمذي تحقيق محمد الألباني - مكتب التربية العربي - ط أولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٥٣- صحيح سنن أبي داود تحقيق محمد الألباني - مكتب التربية العربي - ط أولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٥٤- صحيح سنن ابن ماجه تحقيق محمد الألباني - مكتب التربية العربي - ط أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٥٥- صحيح سنن النسائي تحقيق محمد الألباني - مكتب التربية العربي - ط أولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٥٦- مسند الإمام أحمد أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي - ط الرابعة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٥٧- كتاب الأم للإمام الشافعي - دار المعرفة .

٥٨- كتاب الرسالة للإمام الشافعي - المكتبة العلمية .

٥٩- معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم د. سيد طنطاوي - مكتبة لبنان - ط أولى ١٩٩٧م .

٦٠- فتح الباري بشرح البخاري ابن حجر - مكتبة الصفا - ط أولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

٦١- مسلم بشرح النووي محيي الدين النووي - مؤسسة قرطبة - ط الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٦٢- عون المعبود شمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية - ط الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٦٣- معجم النحو عبد الغني الدقر - مؤسسة الرسالة - ط الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

٦٤- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لفيف من المستشرقين - مكتبة بريل / ليدين - ط الأولى ١٩٣٦م .

٦٥- أطلس التاريخ العربي الإسلامي د. شوقي أبو خليل - دار الفكر - ط الخامسة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .